



الجبر والاختيار في التراث الديني العربي المسيحي للأقباط الأرثوذكس خلال العصر الوسيط (ق: 10/14م). - تاريخ، لاهوت، وجدل -

*Compulsion and Free Will in the Arab Christian Religious Heritage of the
Coptic Orthodox During the Medieval Period (10th–14th Centuries CE).
- History, Theology, and Debate -*

كريم المنكالي*

جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب، سايس، فاس (المغرب).

akramasma853@mail.com

تاريخ النشر: 2025-07-15

تاريخ القبول: 2025-04-07

تاريخ الاستلام: 2024-10-15

ملخص:

تناقش المقالة موضوع الجبر والاختيار لتبين موقف الأقباط الأرثوذكس في العصر الوسيط منه، موقف يستشهدون عليه بالدليل النقلي والدليل العقلي من كتبهم المقدسة وغيرها، ناكرين على المسلمين وبعض علمائهم كثيرا من أقوالهم، موقف يجيبون به على عدة أسئلة، منها: هل ما يقوم به الإنسان من تصرفات هو مجبر فيها أم مخير، هل علم الله السابق بهاته التصرفات يستلزم أن قدرة الإنسان في الاختيار مسلوقة عنه؟ وإذا كان هذا أو ذاك فهل الله تعالى هو المسؤول عنها أم الإنسان؟
الكلمات المفتاحية: الجبر؛ الاختيار؛ الأقباط؛ العصر الوسيط.

Abstract:

This article examines the issue of compulsion and free will, shedding light on the position of the Coptic Orthodox community during the medieval era. Their stance is substantiated by both scriptural evidence and rational argumentation drawn from their sacred texts and other sources. In defending their views, they refute many of the claims made by Muslims and certain Islamic scholars. The article addresses several critical questions, including: Are human actions performed under compulsion, or do individuals possess free will? Does God's foreknowledge of these actions necessarily negate human capacity for choice? And, depending on the answer, is responsibility for these actions attributed to God or to humankind?

Keywords: Algebra; Choice; Copts; Middle ages.

* المؤلف المراسل.

1. مقدمة

أفعالنا نحن نختارها أم نحن مجبرون عليها؟ الجواب بصدق ليس سهلا فقد حارت العقول في ذلك، حتى أدى ببعضها إلى القول بكلام يناقض بعضه بعضا، كل ذلك بسبب قضية واحدة ترتبط بذلك التساؤل السابق، وهي مسؤولية الخالق عن وقوع تلك الأفعال في الكون، وبطبيعة الحال وتحديد أفعال الشر لا الخير.

هذا وإذا كان ليس بخفي على أغلب القراء المهتمين بالدراسات الإسلامية ما قاله علماء الإسلام ومتكلموه حول الموضوع، فعدد منهم سيجهل نظرة علماء المسيحية ولاهوتيوها في هذا الجانب، وتحديد منهم من عاشوا في كنف الدولة الإسلامية وكتبوا باللغة العربية، فهل وافقوهم فيما قالوه أم خالفوهم؟ هذا ما نحن بصدد مناقشته.

يناقش البحث موضوعا يمكن أن يقال عنه إنه مسألة من المسائل الدينية العويصة التي أرقت الفكر الإنساني على مدى قرون عديدة، حاول فيها العديدون ممن انتسبوا إلى علم الكلام والفلسفة بيان غامضها ورفع إشكالاتها كانوا من المسلمين أو غيرهم حتى تصير عقيدة دينية واضحة المعالم مقررة لا يشوبها أي لبس، هاته المسألة نحت لها اسم كلما سمعه السامعون أو تكلم عنه المتكلمون إلا وتوجسوا وأخذوا الحيلة والحذر من التقول فيها بدون برهان، إنها مسألة الجبر والاختيار، والتي جل الدراسات في الساحة الفكرية المعاصرة إن لم يقل كلها إنما تتجه أساسا لدراستها من زاوية مخصوصة حيث يقتصر فيها الحديث عن المعتقد الإسلامي، وهنا البحث سيخالف تلك الدراسات بحيث سيخص الكلام عنها في إطار المعتقد المسيحي، بل إنه سيحصره في زاوية أخص حتى يعطي لهذا البحث جدة وسبقا على مستويات عدة، فهي -الجدة- لا تظهر فقط في حصر الكلام عن مسألة الجبر والاختيار في المعتقد المسيحي، بل تتعداه إذا علم أن تناولها سيكون مرتبطا بمذهب معين وهو المذهب الأرثوذكسي دون غيره من المذاهب الأخرى كالْمذهب الملكاني أو النسطوري، وليس هذا فقط، بل داخل ذلك المذهب المعين فالأمر مخصوص بما تعتقده الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وزيادة على التخصيص الأول والثاني والثالث، فهناك تخصيص رابع يعطي للكلام عن مسألة الجبر والاختيار بعدا تشويقيا آخر حينما يعرف أن مناقشتها سيكون اعتمادا على التراث الديني العربي المسيحي للكنيسة القبطية الأرثوذكسية خلال العصور الوسطى. إن التخصيص الذي ذكر سيجعل كثيرا من القارئ يتساءلون مثل هاته الأسئلة: ما هو معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في مسألة الجبر والاختيار، من هم أهم لاهوتيوها في العصر الوسيط الذين بينوا حقيقة معتقدها، كيف كانت مواقفهم وردودهم على مخالفهم من المسلمين، بم تميزت تلك المواقف والردود لاهوتيا وجدليا؟ وإذا كانت هاته الأسئلة تبين بعضا من جوانب أهمية البحث، فلا بد من ذكر الأسباب التي من أجلها تم التعرض لموضوعه، وهاته الأسباب ترتبط أساسا بالدراسات السابقة في هذا الموضوع، هاته الدراسات إن كانت كتب ردود جدلية أو مقارنة للأديان أو حتى دعوية أو تبشيرية،

وسواء كانت من الجانب الإسلامي أو الجانب المسيحي، فالناظر فيها لا بد له أن يخرج بانطباع أولي يتعلق بتناولها لمسألة الجبر والاختيار في الديانة المسيحية عامة وبالمذهب الأرثوذكسي للكنيسة القبطية خلال العصور الوسطى خاصة، وهو غيابها الشبه الكلي مما قد يظن معه البعض أن ما يتعلق بها كعقيدة لا يختلف حوله معتنقو المسيحية ومعتنقو الإسلام، والأمر عكس ذلك تماما فهناك فرق بين معتقد كل فريق منهما، وهذا الفرق هو ما يريد أن يظهره البحث للقارئ اعتمادا بالأساس على التراث الديني العربي المسيحي للأقباط الأرثوذكس خلال القرون الوسطى⁽¹⁾.

2. تعريف بالمصطلحات

1.2. الأقباط الأرثوذكس:

من غير اللائق أن نوضح للقارئ من المقصود بالأقباط، فهم الإخوة الأشقاء من سكان مصر الأصليين، ومن غير المفيد هنا أن نعرج على أصل جنسهم ففي ذلك أقوال وآراء، ولكن مما يجب أن يعلم أن الأقباط لطالما كانوا على المذهب الأرثوذكسي، وقد كان أغلبهم على ذلك منذ دخول المسيحية إلى بلادهم إلا قليلا منهم، واستمر الحال إلى دخول الإسلام قرونا عديدة لكنه لم يدم، ذاك أنه في العهود المتأخرة وتحديدا في القرن السابع عشر ميلادي أصبح منهم ملكانيون وسائر فرقهم، وبروتستانتيون وسائر فرقهم، وكلها مذاهب وفرق تختلف فيما بينها في بعض الجزئيات العقيدية وبعض الطقوس. هذا وقد يقع للقارئ لبس في وصف مذهب الأقباط بالمذهب الأرثوذكسي حينما يعرف أن بعض ما ينقل في موضوع المقالة راجع إلى ما قبل القرن العاشر ميلادي ذلك أنه من المشهور من استعمال كلمة الأرثوذكس أنهم هم المخالفون للكاتوليك إثر الانشقاق الكبير الذي حدث في القرن الحادي عشر ميلادي، وحقيقة الأمر أن مصطلح الأرثوذكس أو الأرثوذكسية قديم استعماله، سواء عند الأقباط أو غيرهم، يقول ساويرس بن المقفع وهو من اللاهوتيين الأقباط من القرن العاشر: "ذكرت يا حبيب أن القبط في هذا الزمان قد كثرت فيهم الأقاويل المختلفة في الإيمان الأرثوذكسي"، وعلى هذا القول فعبرة ودلالة الأرثوذكس لا تستعمل هنا في استعمالها المصطلحي الشهير الذي ظهر في القرن الحادي عشر.

(1) لم أقف على أي دراسة حديثة تناقش معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في مسألة الجبر والاختيار، حتى إن أطروحة دكتوراه تحت اسم: النصارى الأقباط لم تتحدث عنها بتاتا، ومثلها أخرى تحت اسم الروم الأرثوذكس. حمود بن إبراهيم السلامة، النصارى الأقباط 'دراسة عقيدية'. عبد الله بن علي الشهري، الروم الأرثوذكس 'عرض ودراسة في ضوء العقيدة الإسلامية'. ومما يلاحظ أيضا غياب أو قلة مناقشة عقيدة الجبر والاختيار في الديانة المسيحية تحت مبحث مستقل، حتى وإن لمج إليها فهي تدرج في مبحث يتناول موضوع الخطيئة الأصلية والخلص، أو تحت مبحث القضاء والقدر، ومن الدراسات التي عالجت موضوع حرية الإنسان بين الجبر والاختيار لكنها خصتها برؤية المذهب الملكاني، يذكر: عادل سالم عطية جاد الله، حرية الإرادة ووجود الشر الأخلاقي في العالم بين اللاهوت المسيحي ومتأخري المعتزلة، يوحنا الدمشقي والقاضي عبد الجبار نموذجًا، ومثلها دراسته المعنونة بـ: حرية الإرادة وإشكالية الشر في العالم عند اللاهوتيين يوحنا الدمشقي وتيودور أبي قرة مقارنة مع المعتزلة، وهناك دراسات أخرى تكلمت عن هذا الموضوع من منطلق النص الديني وليس من منطلق لاهوتي جدلي لكنها أيضا لم تتحدث عن رؤية المعتقد الأرثوذكسي وبخاصة ما تقول به الكنيسة القبطية، ومنها: تامر محمد محمود متولي، القضاء والقدر في ضوء الكتب المقدسة 'دراسة مقارنة'. رنا مازن السلامة، حرية الإرادة والاختيار في اليهودية والإسلام 'دراسة عقيدية مقارنة'.

وعلى أي فبعدا عن مصطلح الأرثوذكس وتاريخية استعماله، فالأرثوذكسي معناه هو من كان مستقيم الرأي ومنه الفعل اليوناني 'أورثوذكسيو' الذي يعني: لديه فكرة صائبة صحيحة عن شيء، والأرثوذكس هم شعب الكنيسة الشرقية بعد أن انفصلت الكنيسة الشرقية والغربية عن بعضهما نهائيا في مارس سنة 1054م⁽¹⁾، وهذا الإطلاق الأخير لم يكن هو الشائع في العصر الوسيط للدلالة على المنتسبين لهذا المذهب، بل كان اللفظ الدال عليهم هو اليعاقبة أو اليعقوبية -نسبة ليعقوب البرادعي-، واليعقوبية مذهب مسيحي ضم عددا من الجنسيات المختلفة، فهناك السريان وهناك الأقباط وهناك الروم وهناك الأرمن وهناك الأحباش وغير هؤلاء، والكل يعاقبة أو بالمصطلح الآخر أرثوذكس، ويقابلهم ويمايهم النساطرة والملكانيين (الكاثوليك).

فالأرثوذكس يميزهم عن غيرهم عقائد وطقوس، وأهم ما يميزهم هو قولهم في طبيعة المسيح وفي انبثاق الروح القدس، فهم يقولون أن المسيح اتحد لاهوته مع ناسوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير إذ لم يعد له طبيعتان منفصلتان بعد الاتحاد، على عكس الكاثوليك القائلين بأن المسيح له طبيعتان ومشيئتان متميزتان، أما عن الروح القدس فالأرثوذكس يقولون أنه هو الرب المحيي المنبثق من الأب عكس الكاثوليك القائلين بأنه منبثق من الأب والابن، وقد كان هذا الخلاف هو السبب الرئيسي في الانشقاق بين الكنائس الشرقية الأرثوذكسية وما تفرع منها شرقا وغربا، وبين الكنائس الغربية الكاثوليكية وما تفرع منها أيضا شرقا وغربا⁽²⁾.

2.2. الجبر والاختيار:

لأول وهلة قد يقول القارئ الذي له إلمام بقضايا العقيدة أن أول مصطلح من عنوان البحث دلالة ليست بالخافية، وفعلًا سيكون صادقا، لكنه وبخاصة في الديانة المسيحية فالأمر ليس كذلك، فقد يستشكل الأمر نظرا لتداخله مع مصطلح آخر متغاير معه وهو ما يسمى لاهوتيا بعقيدة الاختيار وارتباطها بالخلاص، وهاته العقيدة أساسا ترتبط بعلم وإرادة الله، أما مصطلح الجبر والاختيار إنما موضوعه مرتبط أساسا بقدرة الإنسان وليس بالإله، وحتى يتوضح الأمر أكثر سيقدم تعريفا لهما معا انطلاقا من بعض المراجع المسيحية.

إن عقيدة الاختيار أو ما يسمى أيضا بالتعيين المسبق هي: 'اختيار الله Election لبعض من البشر ليكونوا خاصة له، وهم المعينون سابقا Predestined للحياة الأبدية والمنتخبون لملكوت السماوات، والمعروفون لله من قبل تأسيس العالم بحسب علمه السابق'⁽³⁾، وهاته العقيدة تعلم بها الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وتزيدها وضوحا حين تنقل أحد كتبها القول بما يلي: 'تعلم الكنيسة القبطية أن الله عين

(1) أناسيوس المقاري، معجم المصطلحات الكنسية، الجزء 1، ص 61.

(2) إبراهيم عبد السيد، الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية، ص 14 و15.

(3) مرقس داود عبد الله، قضية الاختيار، هل حقا يختار الله أناسا ويرفض آخرين؟، ص 10.

المختارين للحياة الأبدية وفق مشيئة الله لخلاص الجميع⁽¹⁾، وبهذين التعريفين تتضح دلالة عبارة الاختيار هنا فلا هي تتعلق بحرية الإنسان كونه مجبراً أو مخيراً، عكس عبارة الجبر والاختيار، وفي تحديد معناها يقول أحد كتبة الكنيسة الأرثوذكسية مقرراً تعليمها السابق ومستنكراً على الكنيسة البروتستانتية: '... لكن الخارجون عن الكنائس الرسولية يقولون أن الله قد اختار قوماً للحياة الأبدية، وآخرين للعذاب الأبدي بغض النظر عن حريتهم وعن أعمالهم أو قبولهم للدعوة أو عدم قبولها'⁽²⁾.

وبالتالي ومن هاته التعريفات فعبارة الجبر والاختيار إنما المقصود بها هو قدرة الإنسان على اختيار أفعاله، فإن كان مقهوراً عليها كان مجبراً وهذا ما يعنى بالجبر، وإن كان عكس ذلك كان مختاراً وهذا ما يعنى بالاختيار، أما عن عبارة الاختيار المسبق فتعني أن الله قد اختار هو بنفسه أن يكون بعض الناس سعداء بطاعته وبعضهم أشقياء بعصيانهم، وبهذا الفرق فموضوع الاختيار المسبق حتى وإن تقاطع قليلاً مع موضوع الجبر والاختيار فهو مختلف عنه ولن يتحدث عنه في المعتقد المسيحي إلا لماماً.

3. الجبر والاختيار في التراث الديني العربي المسيحي: تاريخ

1.3. لغير الأقباط:

اعتباراً مما تنقله لنا دراسات مهمة بالتراث الديني العربي المسيحي فقد يكون يوحنا الدمشقي هو أول من ألف كتاباً ضمنه جدلاً مسيحياً إسلامياً حول عقيدة الجبر والاختيار، حيث تشير بعضها إلى أنه يمكن أن يكون الدمشقي قد ألف كتابات خطها باللغة العربية اعتباراً لعدة أسباب تسنتج من تعابير تلك الدراسات، لكن في مقابلها هناك أخرى تشكك في ذلك لاعتبارات، وعموماً فما قيل هو أن يوحنا المذكور ألف كتاباً يحكي فيه حواراً جدلياً مع مسلم وكان مما دار فيه نقاش حول مسألة الجبر والاختيار⁽³⁾، وحتى لو لم يكن أو لم يعتبر أنه أول من ألف في هذا الجانب من طرف الكتبة المسيحيين الذين ألفوا بالعربية، فإن الشخص الذي هو محل إجماع بين المتخصصين في الأدب الديني العربي المسيحي والذي خصص أحد كتبه لمناقشة موضوع الجبر والاختيار لاهوتاً وجدلاً هو تاوندروس أبو قرّة، ومن المعلوم أن أبا قرّة هو تلميذ ليوحنا الدمشقي، وقد كان يحرضه على كتابة وتدوين النصوص المسيحية بالعربية⁽⁴⁾، ومما دونه ميمر يرد فيه بصفة مباشرة على عقائد المانوية وبصفة غير مباشرة على القائلين بالقدر من أتباع الديانة

(1) موريس كامل ديميتري، نقاوة عقائد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، ص 27.

(2) جرجس صموئيل عازر، توافق العقائد الأرثوذكسية، ص 55.

(3) جوزيف نصر الله، منصور بن سرجون 'المعروف بالقديس يوحنا الدمشقي'، ص 171. يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص 34. يوحنا الدمشقي، المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، ص 39. أسد رستم، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، الجزء الثاني، ص 85. ناوفيطوس إدلي، الكتاب العرب المسيحيون وعلم اللاهوت، ص 939. هشام محمد حسن، الإسلام في المخيلة البيزنطية في ق 8 م، يوحنا الدمشقي نموذجاً، ص 41. دانييل ساهاس، الشخصية العربية في الجدل المسيحي مع الإسلام، ص 129.

(4) الكتاب العرب المسيحيون وعلم اللاهوت، مرجع سابق، ص 935 وما بعدها.

الإسلامية⁽¹⁾، وعليه فيمكن اعتبار الدمشقي هو الأب الروحي وصاحب فكرة تدوين أول مؤلف عربي مسيحي لاهوتي جدلي يناقش قضية الجبر والاختيار مسيحياً وإسلامياً⁽²⁾.

نترك الآن هاتين الشخصيتين اللتين تنتميان إلى المذهب الملكاني، لكي نكشف عن حضور مسألة الجبر والاختيار في التراث الديني العربي المسيحي للكنيسة النسطورية، فأقدم ما خلفه لنا الزمان من تراث ممن انتسب إليها هو ما دونه الجاثليق طيموتائوس الكبير، وتحديدًا محاورته الجدلية مع الخليفة المهدي لكنها لا تتضمن نقاشًا حول مسألة الجبر والاختيار، ورغم ذلك فمن الممكن أن يكون طيموتائوس قد ضمن أحد كتبه التي دونها بالعربية كلامًا حول مسألة الجبر والاختيار في محاولة منه لإبراز المعتقد السليم وتوضيحه للمسلمين، والأمر كما يبدو من خلال التعبير على تلك الإمكانية إنما هو افتراض ليس إلا⁽³⁾.

وبالإضافة إلى طيموتائوس نجد شخصية عالجت موضوع الجبر والاختيار مجادلة مع المسلمين وهي عمار البصري، شخصية لا يعرف عنها الكثير ويكتنفها الغموض على عدة مستويات، فهل هو اسم حقيقي لصاحبها أم هو اسم استعاره صاحبه للتخفي أو لسبب آخر؟ وهل يمكن أن يكون ذلك الإسم للاهوتي نسطوري آخر ذو شأن عظيم؟ وإضافة على ما سبق فالسؤال الذي يورق البال هو متى كان حيا على وجه الدقة؟ كل هاته الأسئلة الجواب عنها غير معروف، لكن يبقى أنه كان معاصراً لأبي قرة ولشخصية أخرى لها مكانة مرموقة في التراث الديني العربي المسيحي للكنيسة اليعقوبية وهي ما سنأتي إلى ذكرها⁽⁴⁾.

(1) تاودروس أبو قرة، ميمر في الحرية، الجزء 1، ص 9 وما بعدها.

(2) لقد خصص يوحنا الدمشقي كثيرا من الصفحات في كتابه المئة المقالة عن موضوع حرية الإنسان في اختياره لأفعاله، وخلاصة ما قاله: "أن هناك حوادث منها ما ليس في استطاعة الإنسان ومنها ما في استطاعته مثلا: كالكذب وعدم الكذب، فالثانية يكون حرا فيها مختار فيها مستطيعا لها، غير أنه في بعض المرات رغم اختياره ورغم استطاعته قد يمتنع وقوعها بسبب العناية الإلهية، ويستدل يوحنا على حرية الإنسان بكونه خلق على صورة الله، فيما أن الله حر مريد بطبعه فالإنسان أيضا حر مريد بطبعه، إضافة إلى هذا الدليل يضيف دليلا آخر وفيه وهو أن الإنسان إذا كان مجبرا وليس حرا ثم تحمل مسؤولية ما فعله فذلك مخالف للمنطق ومخالف لما يوصف به الله تعالى من العدل، ثم يوضح موقفه من وجود الشر وهو أن الله تعالى لم يشئه لا سابقا ولا لاحقا، كما أنه لا يريد مطلقا لكنه يسمح به. أما موقفه من علم الله المسبق وعلاقة ذلك بوقوع الشر فيساق كلامه حتى لا يتقول عليه، يقول: "اعلم أن الله يسبق ويعلم كل شيء وأنه لا يسبق ويحدد كل شيء، فهو يسبق ويعرف ما هو في استطاعتنا ولكنه لا يسبق ويحدده، فهو لا يشاء حدوث الشر ولا يقتسر الفضيلة". المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، مرجع سابق، صفحات، 115 و134-143. وبخصوص موقف أبي قرة فهو بدوره يعتقد بأن الإنسان خلق حرا مختارا، وعكس ذلك فهو مناف لعدل الله كما أنه ينفي أن تكون هناك علاقة بين علم الله السابق وبين الإيجاب، ذلك أن القول بعدم الجبر ضمن حرية الاختيار لدى الإنسان كما يضمن علم الله السابق بكل شيء، ونهاية يصرح أبو قرة بأن الله ليس مسؤولا عن الشر. ميامر تاودروس أبي قرة أسقف حران، أقدم تأليف عربي نصراني، ص 9 وما بعدها.

(3) لويس ساكو، الجاثليق طيموتائوس الكبير، ص 5.

(4) عمار البصري، كتاب البرهان وكتاب المسائل والأجوبة، ص 7-11. في كتاب المسائل نجد عمار البصري في المسألة السادسة والعشرين، يقول: "إذ خلقوا مستطيعين لاختيار الأعمال بعقل وبتمييز فاختروا لأنفسهم ما اختاروا"، ص 125. وبالإضافة إلى تلك الأعلام نجد شخصية أخرى تفوقهم شهرة كما تشاركهم نفس الزمان، وهي حنين بن إسحاق: (809-873م)، وله رسالة تحت اسم: 'رسالة في دلالة القدر على التوحيد'، لكن لا يعرف فحواها هل تضمنت جدلا في مسألة الجبر والاختيار حيث أنها مفقودة. حنين بن إسحاق، مقالة في الأجل، ص 403-425.

بعد المذهب النسطوري ننتقل الآن إلى آخر المذاهب المسيحية الكلاسيكية القديمة، وهو المذهب اليعقوبي وهو المذهب الذي تنتهي له الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وإن كانت لا تترضي إطلاق اسم هذا المذهب عليها حتى لو كانت تدين بعقيدته، فأول وأقدم تراث عربي مسيحي هو ما تركه أبو رائطة التكريتي اليعقوبي، وبعد الاطلاع على ما كتبه لا نجده يتعرض لمسألة الجبر والاختيار وخصوصا في ردوده على المسلمين مما يعني استبعاد اسمه من لائحة الأسماء التي ذكرت حتى الآن: (أبو قرة، طيموتائوس، البصري)⁽¹⁾.

ختاما، وبعد كل ما ورد سابقا من ذكر أسماء لأعلام مسيحيين ممن كانت مؤلفاتهم اللاهوتية والجدلية بواكير اللقاء الفكري بين المسيحيين والمسلمين، يقف الباحث شاكا ومتأكدا ومحتارا في قضية تتعلق بالجدل المسيحي الإسلامي الدائر حول مسألة الجبر والاختيار في التراث الديني العربي المسيحي، فالمشكوك فيه هو أسبقية يوحنا الدمشقي في تناول القضية والتأليف فيها باللغة العربية، والمتأكد منه هو تخصيص أبي قرة كتابا لها باللغة العربية يفرد بها، والمحتار فيه من هو السابق من هؤلاء الثلاثة: (أبو قرة، طيموتائوس، البصري) في تناولها، ذلك أن الدراسات المسيحية المعاصرة المتخصصة تضع تواريخ مختلفة تزعم فيها توقيت تأليف أعمالهم المرتبطة بالجدل المسيحي الإسلامي الدائر حول مسألة الجبر والاختيار، كما تضع تواريخ مختلفة ومتضاربة لميلادهم ووفاتهم⁽²⁾.

2.3. للأقباط:

(1) حتى لو كان له جدل في موضوع الجبر والاختيار، فما ينطبق على الأسماء المذكورة من الاختلاف في تواريخ ميلادهم ووفاتهم وتأليفهم ينطبق عليه، فمما قيل عن سنة وفاة أبي رائطة، ما يلي: قيل في سنة: 828م، وقيل: 835م، وأما عن سنوات تأليف كتبه فقيل: بين سنة: 813 و828م، وقيل بين سنة: 810 و825م، وقيل: 830م، وقيل الربع الأول من القرن التاسع دون تحديد، وقيل: كان في عز عطائه حوالي سنة: 815م. سليم دكاش، أبو رائطة التكريتي ورسائله في الفالوث المقدس، ص 11 و34. أغناطيوس أفرام الأول برصوم، اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية، ص332. يحيى بن عدي، مقالة في التوحيد، ص115. باسم سمير الشرقاوي، مدخل إلى علم التراث العربي المسيحي، ص136. Emad Samir Khalil Samir, Une Apologie Arabe Du Christianisme D ' Epoque Umayyade, v 16, p 85. Atef/Mina Fouad, Abu Raita Al-Takriti, A Case Study For The Renewal Of The Coptic Orthodox Doctrine Of The Oneness Of God, v 2, p 64.

(2) بالنسبة لطيوتائوس ومجادلته ورسائله: تتفق المراجع أن سنة وفاة طيموتائوس كانت سنة: 823م، أما عن مجادلته مع المهدي فأكثرها لا يذكر توقيتها، ومما قيل فيها أنها كانت بين سنة: 781 و782م، وقيل أنها كانت في مطلع ق: 9م بشكل عام، أما عن رسائله فلم تذكر المراجع أنها كتبت بالعربية، وغالبا بلغة أخرى غيرها. الجائليق طيموتائوس الكبير، مرجع سابق، ص5. ألبير أبونا، تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية، الجزء 2، 'من مجيئ الإسلام حتى العصر العباسي'، ص113. دفاعيات في العصر العباسي الأول، 'طيوتائوس الأول'، ص3. بالنسبة لأبي قرة وميمره في الحرية، قيل أنه ولد سنة: 740م، وقيل 750م، وقيل: 755م، أما سنة وفاته فقيل أنها: 820م، وقيل: 825م، وقيل: 830م، أما تاريخ تأليفه لميمره في الحرية فغير معلوم. سمير خليل اليسوعي، أبو قرة 'المؤلفات'، ص22. ميمر في الحرية، مرجع سابق، الجزء 1، ص9 وما بعدها. أغناطيوس ديك، مجادلة أبي قرة مع المتكلمين المسلمين في مجلس خليفة المأمون، ص10. أغناطيوس ديك، ميمر في وجود الخالق والدين القويم، ص52 و58 و63 و66 و67. يوسف الشماس المخلصي، خلاصة تاريخ الكنيسة الملكية، الجزء 2، ص54 و55. بالنسبة للبصري وكتبه: لا يعلم عن تاريخ ميلاده ولا وفاته شيء، بل إن بعض المراجع التي تتحدث عن أحوال النصارى في عهد الخلافة العباسية زمن عمار البصري لا تشير إليه كشخصية معروفة، أما كتبه فقيل أنه ألفها سنة: 825م. جان موريس فييه، أحوال النصارى في خلافة بني العباس، ص74-126. Georg Graf, Geschichte. Une Apologie Arabe Du Christianisme D ' Epoque Umayyade, Ibid, p85. Der Christlichen Arabischen Literatur, v 2, p 210.

رجوعا إلى المذهب اليعقوبي لكن هاته المرة فيما يرتبط بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية المنتمية له، فالمشهور عند أغلب الباحثين أن أول لاهوتي ينتسب لها ممن كتب مؤلفاته بالعربية هو ساوريس بن المقفع، لكن هذا الرأي بالبحث يتضح أنه ليس مجمعا عليه⁽¹⁾، لكنه ومع ذلك يبقى أنه من المؤكد أن ساوريس من اللاهوتيين الكبار الذين خلفوا تراثا دينيا عربيا مسيحيا تفتخر به تلك الكنيسة، وقد كان جزء منه مخصصا لبيان المعتقد المسيحي في قضية الجبر والاختيار، وعليه يمكن اعتبار بدايات تناولها متربطا به، إلا أن هذا الاعتبار مع صحته نجد أن بعضا من المؤلفات اللاهوتية التي ناقشت مسألة الجبر والاختيار مختلف في نسبتها لصاحبها - أي بين ساوريس وبين غيره - وحسنا فغيره كان بعده، وبالتالي حسمت القضية بالإعلان بأن ساوريس بن المقفع اللاهوتي القبطي هو أول من خط كتابا باللغة العربية يناقش فيه مسألة الجبر والاختيار لاهوتيا⁽²⁾.

وقبل الحديث عن لاهوت الجبر والاختيار في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية انطلاقا من تراثها في العصر الوسيط يلاحظ أن موضوع الجبر والاختيار يأخذ تمركزا خاصا به مقارنة مع غيره، فلا هو من المواضيع الكبرى التي دائما ما تتعرض لها الكتب اللاهوتية، ولا هو في نفس الوقت مما لا يكاد يكون له ذكر في مؤلف مخصوص به أو غير مخصوص، فإذا يمكن القول بأنه عقيدة لم تحض بنقاش لاهوتي جدلي واسع كباقي العقائد الأخرى كالثلثية والصلب والفداء والقيامة...، لذا سنجد ما كتب فيه بشكل خاص أقل بكثير مما كتب في غيره، على أن ما كتب منشور في كتب اللاهوت "الموسوعات مثلا"، كتب التفسير الكتابي "تفسير الكتاب المقدس بعهديه مثلا"، كتب الجدل المقارن "الرد على المخالفين مثلا"، وحتى في بعض كتب المواعظ "الميامر والأدعية مثلا".

فبالرجوع إلى تلك الكتب واستقراءها الواحدة تلو الأخرى يستنتج أن في تعاملها مع مسألة الجبر والاختيار هي على نمطين، فبعضها فقط ذكرت إشارات أو بالأصح جملة أو جملا تقرر به عقيدة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وكانت ردودا لا تعتمد على المنطق والفلسفة، وقد كانت تقريبا كلها كذلك إلا استثناء واحدا، وهذا الاستثناء مشكوك فيه كون الكتاب نسبته لصاحبه مشكوك فيها، وقد امتد هذا الأمر تقريبا من ق: 10م إلى ق: 12م، على أن بعدهما سنلمس تغيرا واضحا وهو أن الكتب التي ستناقش المسألة لن تكتفي بعرضها لاهوتيا في جملة أو أكثر، بل ستخصص لها صفحات، بل وسيكون بعضها خاصا بها لاهوتيا أو جدليا، وقد كان ذلك انطلاقا من ق: 13م إلى غاية ق: 14م، ولم يكن النمطان أمرا واقعا تحت الصدفة، بل هو انعكاس للواقع الذي كانت تعيشه تلك الكنيسة تحت سلطان الدولة الإسلامية، فالذي هو مقرر أنه بدءا من ق: 10م وحتى ق: 12م لم تحفل تلك الكنيسة ومعه لاهوتيوها

(1) راجع مقالتنا: "اللاهوتيون الأقباط وكتابات علماء المسلمين خلال ق: 13م، أسرة أولاد العسال نموذجا، بحث في طرق ومناهج التأليف"، ص14، هامش رقم 1.

(2) سيتكلم عن هاته المسألة فيما هو قادم من الصفحات.

بالتراث الديني الإسلامي كثيرا، سواء فيما خص علم الكلام أو علم الفلسفة، لكن وانطلاقا من ق: 13م سيظهر اهتمام منقطع النظير بذلك التراث، وخصوصا منه ما تعلق بكتابات كل من ابن سينا والفارابي والغزالي والفخر الرازي، بل سيتعدى الأمر من الاهتمام لكي يصبح تأثيرا ظاهرا على عدة أصعدة، وبالتالي كانت مناقشة موضوع الجبر والاختيار ستصطبغ لا محالة بعلم المنطق والفلسفة وخصوصا في الرد على المخالفين، وهذا الاصطباغ ما هو في الحقيقة إلا بيان لتطور الفكر اللاهوتي للكنيسة القبطية الأرثوذكسية، حيث يلاحظ أن في تناوله لمسألة الجبر والاختيار وخصوصا جدليا إنما ميز له مرحلتان: مرحلة بداياته، وكانت السمة الغالبة عليه الوضوح وعدم التوسع في مناقشتها، ثم مرحلة ازدهاره حيث طغى عليه التعمق والتوسع في مناقشتها، وقد بلغ الذروة في ذلك بدءا من ق: 13م.

نأتي الآن وفي عجالة إلى تعيين أسماء اللاهوتيين الأقباط الأرثوذكس الذين ناقشوا مسألة الجبر والاختيار مع ذكر مؤلفاتهم وإعطاء فكرة موجزة عما كتبوه، وسيكون الاختصار فقط هنا على من تكلم عنها لاهوتيا أي دون التعرض جدليا مع المخالفين وبخاصة المسلمين، على أن بعضا منهم تناقش الأمر جدليا مع المسلمين إما تصريحاً أو تلميحاً، والتقسيم سيكون بحسب كل قرن:

- أعلام القرن: 10م:

ساوريس بن المقفع: (915م/ت: وله أكثر من 85 سنة)، لا نجد في هذا القرن غيره، وهو أول من كتب في موضوع الجبر والاختيار باللغة العربية، وضمن ذلك في كتابه: "مصباح العقل"، ففي خاتمة أحد أبوابه يقرر في أقل من صفحة أن الله خلق الإنسان مستطيعا ممكنا، ثم يردف قوله بعبارته: "مهما فعلنا"، كأنه يريد أن يقول مهما حاول الإنسان تبرير أفعاله، فالأصل هو أن الله كما سيقول: "خلقنا لكي نطيعه ولا نعصيه"⁽¹⁾.

- أعلام القرن: 11م:

عبد المسيح الإسرائيلي: (969م/-): يهودي ارتد حوالي سنة: 969م، ألف في بداية ق: 11م، ومن بين ما خطه كتاب: 'الإستدلال'، وحين جوابه موضعا عن مسألة قتل المسيح عالما مختارا بوقوع ذلك وكون من قتله من اليهود مختارين مسؤولين عن فعلهم الشنيع، أجاب عن سؤال صاغه هكذا: هل خلقهم مختارين أو مجبورين؟⁽²⁾

- أعلام القرن: 12م:

مرقص بن قنبر: (عاصر البابا الإسكندري مرقس الثالث: (1180/1157م): له كتاب شرح فيه سفر التكوين تحت اسم: 'الدر الثمين في شرح سفر التكوين'، وفي شرحه لآية: 'نعمل الإنسان على صورتنا

(1) ساوريس بن المقفع، مصباح العقل، ص 68-69.

(2) بيشوي جرجس شفيق، شخصيات تاريخية، "عبد المسيح الإسرائيلي الراقي"، من هو؟، -تاريخه- كتاباته-، ص 2. عبد المسيح الإسرائيلي، الإستدلال، ورقة 120.

كشهنّا، قال معلقا مشبها الإنسان بالله القادر المختار المريد، فكذلك الإنسان هو مخير مريد، وكل إنسان له سلطان الاختيار وهو حر⁽¹⁾.

- أعلام القرن: 13م:

بطرس السدمنتي: مؤلف قبطي وإن كان من أصل أرمني، ألف مجموعة من الكتب، وعديد منها قرر فيها معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية فيما يخص الجبر والاختيار، ومنها: (أ) مطلع النجاة: وهو كتاب مواعظ وأدعية، نجده يذكر الله حامدا بقوله: "لأنك جعلت حياة الإنسان في الدارين موقوفة على الاجتهاد لأنك خلقتة مختارا، فلو أعطيته كل ما يحتاج إليه مجاناً لسلبته الاختيار"⁽²⁾. (ب) تعاليم روحانية وألفاظ فلسفية: ومن خلال العنوان يتضح مضمون الكتاب، وفي كثير من صفحاته يعرج على موضوع الجبر والاختيار ويؤكد على أن الإنسان خلق مختارا مريدا⁽³⁾. (ج) القول الصحيح في آلام السيد المسيح: وهو كتاب يفسر فيه ما وقع للمسيح مما ذكر في الأناجيل، وأيضا أشار إلى مسألة الجبر والاختيار⁽⁴⁾. (د) مقالة في الاعتقاد: وقد ألفها طلبا من أحد أصدقائه الأساقفة، وتتضمن اختصارا للعقائد الكبرى المسيحية، وفي الفصل العاشر يقرر ما مفاده بأن آدم لما أكل من الشجرة أخطأ اختيارا⁽⁵⁾. (هـ) مقالة في تهذيب النفس: 'في العمليات'، وهي تدعو إلى الفضيلة، وقد ألفها أيضا لصديقه الذي ألف له المقالة السابقة الذكر، وفيها يقول: "تصدق عليه المجازاة من حيث أنه خلق عاقلا فاعلا مختارا"⁽⁶⁾.

ابن كاتب قيصر: له أكثر من تفسير للكتاب المقدس، ومن بينها تفسير رسالة بولس إلى أهل رومية، وفي صفحات من هذا التفسير يتعرض لمسألة الجبر والاختيار ولو أنه يربطها بعقيدة الاختيار المسبق وعلاقتها بعلم الله السابق⁽⁷⁾.

الرشيد أبو الخير بن الطيب: له كتاب ترياق العقول في علم الأصول: يقول فيه: "تعين القول الثالث وهو أنه تعالى إنما خلق الإنسان مختارا مطلق الفعل"⁽⁸⁾.

(1) مرقص بن قنبر، شرح سفر التكوين 'الدر الثمين في شرح سفر التكوين'، ص 37 و38.

(2) بطرس السدمنتي، مقالة تنفي الشك والكفر عن النصراني الموحدين، ص، 44-46. السدمنتي، مطلع النجاة بالمنجاة، ص 138.

(3) بطرس السدمنتي، تعاليم روحانية وألفاظ فلسفية، ورقات 49، 73، 81، 85، 103، 105.

(4) بطرس السدمنتي، القول الصحيح في آلام السيد المسيح، صفحات 77، 79، 108، 109، 121، 122، 181.

(5) بطرس السدمنتي، مقالة في الاعتقاد، ورقة 60.

(6) بطرس السدمنتي، مقالة في تهذيب النفس 'في العمليات'، ورقات 42-15. بطرس السدمنتي، رسالة في تهذيب النفس، ص 69.

(7) ابن كاتب قيصر: (1178-1251م)، يدعى بعلم الرئاسة أبو إسحاق إبراهيم، ولد الثناء بن صفى الدولة أبي الفضائل كاتب قيصر، لقب بـقيصر لأن أباه صفى الدولة كان كاتباً للأمير علم الدين قيصر. ابن كاتب قيصر، تفسير سفر الرؤيا، ص 21-23.

(8) الرشيد أبو الخير بن الطيب: كان كاهنا وطبيباً، كتَبَ بعد سنة: 1210م. ودعي أبو الليف الفرنسيكاني، الرشيد أبو الخير بن الطيب وكتابات، الجزء 1، ص 181-183. الرشيد أبو الخير بن الطيب، ترياق العقول في علم الأصول، ص 112.

وبالإضافة إلى الأسماء السابقة، هناك لاهوتيون ألفوا كتباً قرروا فيها عقيدة كنيستهم القبطية، لكن لا يعلم الزمن الذي عاشوا فيه بشكل دقيق فهو محل خلاف، وسيتم عرض أسمائهم بغية الوصول لأقصى درجة الاستقصاء، وهذا جرد لما وقف عليه بهذا الخصوص:

يوساب أسقف أخميم: بحسب البعض من الباحثين له مجموعة من المقالات اللاهوتية، لكن المشكل بخصوص هاتى الشخصية، هو أن غير الأقباط ممن يهتم بالتراث العربي المسيحي يضع تاريخه في القرن: 13م وآخر في ق: 15م، لكن الأقباط ينسبون تلك المقالات لشخصية أخرى وهي: يوساب أسقف درجا وأخميم، وهو من كتبة ق: 19/18م، وعموماً فالمقالة المقصودة واحدة، وفي هاتى المقالة وهي الخامسة من بين واحدة وثلاثين منها، وفيها يشرح قول بولس في رسالته إلى أهل رومية في الفصل: 13، حيث سيتناول مسألة خلق آدم على صورة وشبه الإله، وكيف أنه عصاه باختياره، كما أنه سيناقش مسألة فعل الخير والشر من طرف الإنسان وعلاقتها بعلم الله تعالى⁽¹⁾.

ميخائيل أسقف أتريب ومليج: هناك من يجعله من كتبة ق: 13م، وهناك من يضعه في ق: 14م، وآخر في ق: 15م، وعموماً فله أجوبة على مجموعة من الأسئلة، وفي إحداها يمنع نسبة الشر للإله بذريعة فعل الإنسان له، ويؤكد على قوله بأنه أي الإله عرف الإنسان بالخير والشر وأمره أن يفعل الأول ويتجنب الثاني⁽²⁾.

- أعلام القرن: 14م:

لم أجد في هذا القرن من خص مسألة الجبر والاختيار في كتاب لاهوتي، وإنما يوجد فقط من تناقشها جدلياً بحيث أشار إلى المعتقد الإسلامي، ذاكراً مجموعة من أقوال المتكلمين المسلمين ممن اشتهر قولهم، وسيخصص ذكر أسماء هؤلاء ومصنفاتهم لمبحث لاحق.

4. الجبر والاختيار في التراث الديني العربي المسيحي: لاهوت

استعمل اللاهوتيون الأقباط مصطلحات متنوعة في مناقشتهم لمسألة الجبر والاختيار وكلها لها دلالة واحدة، وحيث أن المصطلحين الرئيسين في الموضوع هما الجبر والاختيار، فبطبيعة الحال سيكونان الأكثر استعمالاً من بين مصطلحات أخرى مشابهة، وهاتى المصطلحات منها ما يرتبط بالحقل الدلالي لمعنى مصطلح الجبر ومنها ما يرتبط بالحقل الدلالي لمعنى مصطلح الاختيار، فبالنسبة للنوع الأول (الجبر) نجد: 'القدر، الاضطراب، القهر، الإكراه، الطبع، التسلط، القسر، الحتم، الاتفاق، المنع'، وبالنسبة للنوع الثاني: (الاختيار) نجد: 'العدل، القصد، الإرادة، الاستطاعة، المشيئة، التمكن، التمليك، الاكتساب،

(1) جورج غراف، تاريخ الأدب العربي المسيحي 'الأقباط'، ص 124. لويس شيخو، المخطوطات العربية لكتبة النصرانية، ص 222. أنثاسيوس المقاري، فهرس كتابات آباء الكنيسة الإسكندرية، الجزء 1، ص 36، الجزء 2، ص 907-905. يوساب أسقف أخميم، المقالات اللاهوتية، ورقة 16 وما بعدها.

(2) تاريخ الأدب العربي المسيحي 'الأقباط'، مرجع سابق، ص 228. المخطوطات العربية لكتبة النصرانية، مرجع سابق، ص 202. المخطوط الباري، رقم: 213، ورقة 9.

التصرف، الاستقلال، الرضا، الاجتهاد، التفويض، الطوع، الإيثار، التمييز، الرؤية، الفحص، القدرة، الفعل، السبب، التهيؤ، فكل هاته المصطلحات كانت موضحة وشارحة للعديد من الآيات والأسفار الكتابية للنص المقدس.

ولقد كانت تلك الآيات وأسفارها كثيرة ومتنوعة، بعضها من العهد القديم وبعضها من العهد الجديد، وانطلاقاً من تتبع العديد منها وُجِدَ أن السفر الذي يُهْتَمُّ به أكثر من غيره في بيان المعتقد الخاص بالجبر والاختيار هو سفر رسالة بولس إلى أهل رومية من العهد الجديد، أما عن آياته المعنية فستحدد لاحقاً، على أنه ليس لوحده السفر الذي يعالج ذلك المعتقد، بل هناك آيات من أسفار أخرى، ولعل الآيات التي قد تَتَكَرَّرُ وتُشْرَحُ أكثر من مرة هي ما جاءت في بعض الأسفار الخمسة الأولى للتوراة: 'التكوين، الخروج، التثنية'، وعلى أي فالآيات المستدل بها لا يمكن حصرها، لكن يمكن بيان أكثرها استعمالاً مع توضيح مقصودها والشاهد من تفسيرها في الموضوع، وستكون مقسمة هكذا، القسم الأول: آيات تصرح بالاختيار، القسم الثاني: آيات تلمح بالاختيار، القسم الثالث: آيات تصرح بالجبر، القسم الرابع: آيات تلمح بالجبر، ودلالاتها التصريحية أو التلميحية تلك إنما هي راجعة إما إلى اللفظ أو إلى المعنى، أو إلى ما يذكره اللاهوتيون الأقباط أنفسهم، وقد تم اختيار اثنين من كل قسم⁽¹⁾:

- آيات تصرح بالاختيار:

- 'نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا'⁽²⁾.

- 'قد جعلت قدامك الحياة والموت والبركة واللعنة فاختر الحياة لكي تحيا أنت ونسلك'⁽³⁾.

فالآية الأولى دلالتها كما يقول اللاهوتيون الأقباط، بما أن الله قادر مريد مختار ومحبته للإنسان ورأفته به خلقه خلقة دون غيره، خلقه قادراً مريداً مختاراً، فهو مخلوق على صورة الخالق فهو شبيه له، ليس في الجوهر بل في الأفعال، أما الآية الثانية فلفظ الاختيار الوارد فيها يغني عن كل شرح في تقرير المعتقد الصحيح فيها⁽⁴⁾.

- آيات تلمح بالاختيار:

- 'وقد نعلم أن الذين يحبهم الله يُعَيِّنُهُمْ في كل شيء من الأعمال'⁽⁵⁾.

- 'توبوا وارجعوا عن جميع جوركم'⁽⁶⁾.

(1) كتبت آيات الأسفار بحسب ما كان يتناقله الأقباط الأرثوذكس في العصر الوسيط، أما بالنسبة لترقيم الإصحاحات والآيات، فتم

اعتماد نسخة الفاندايك: Holy Bible, Copyright 1998-2002, Arabic Bible Outreach Ministry All Rights Reserved.

(2) التكوين، الإصحاح: 1، العدد: 26.

(3) التثنية، الإصحاح: 30، العدد: 19.

(4) الدر الثمين في شرح سفر التكوين، مرجع سابق، ص 37. مقالة في الاعتقاد، مرجع سابق، ورقة 51. ابن مكين 'الصغير'، مختصر البيان في تحقيق الإيمان، الجزء 1، ص 144 و 149.

(5) رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح: 8، العدد: 28.

(6) حزقيال، الإصحاح: 18، العدد: 30.

فالآية الأولى دلالتها أن علم الله ليست هي إرادته، فالله علم فعل كل واحد منهما فأحب يعقوب لأنه اختار البركة وكره عيسو لأنه اختار شهوة الأكل، أما الآية الثانية فتدل على إضافة الفعل إلى العباد⁽¹⁾.

- آيات تصرح بالجبر:

- 'قسى الله قلب فرعون'⁽²⁾.

- 'أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة وآخر للهوان'⁽³⁾.

فالشاهد من الآية الأولى أن أفعال بني إسرائيل الخاطئة لم تكن بسبب قسوة فرعون عليهم، وهو ما يمكن أن يُظنّ معه أن المتسبب في أفعالهم هو ما فعله الله لفرعون، ذلك أن الله قسى قلبه جزاء له بما عمله قبل خروجهم وليس لأجل خروجهم⁽⁴⁾، أما الثانية فيؤسّر حين قال ذلك الكلام إنما كان يريد توضيح أمور من بينها أن علم الله ليس حادثاً وأنه يعلم الجزئيات والكليات⁽⁵⁾.

- آيات تلمح بالجبر:

- 'وقد تبين الآن أنه يرحم من يشاء ويتشدد على من يشاء'⁽⁶⁾.

- 'شعب يقوى على شعب وكبير يستعبد لصغير'⁽⁷⁾.

أما الآية الأولى فلا تعني جبراً، وإنما جاءت لتوضح أن الرحمة ليست مقصورة على بني إسرائيل كما كانوا يظنون، أما الثانية فالشاهد فيها أن الانتقاء ليس لمجرد هذا الفعل فقط الذي هو شراء البكورية حتى تكون المحبة مرتبطة بذلك فقط، بل سابقة على ذلك، فالعلم هنا سابق لفعلهما، أي يعقوب وعيسو، فلا تعلق لأحد بالآخر⁽⁸⁾.

فهاته جملة من الآيات التي كان يستعملها اللاهوتيون الأقباط الأرثوذكس في بيان معتقد كنيستهم من قضية الجبر والاختيار، وقد كانوا في معرض استعراضها يتناولونها بالتفسير، وقد كان بعضهم قبل أن

(1) ابن كاتب قيصر، تفسير رسالة بولس إلى أهل رومية، ص 54. مختصر البيان في تحقيق الإيمان، مرجع سابق، الجزء 1، ص 160. المقالات اللاهوتية ليوساب أسقف أخميم، مرجع سابق، ورقة 17. الرشيد أبو الخير بن الطيب، رسالة البيان الأظهر في الرد على من يقول بالقضاء والقدر، ورقة 123.

(2) الخروج، الإصحاح: 7، العدد: 3.

(3) رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح: 9، العدد: 21.

(4) مختصر البيان في تحقيق الإيمان، مرجع سابق، ص 163. تفسير رسالة بولس إلى أهل رومية، مرجع سابق، ص 67.

(5) المقالات اللاهوتية ليوساب أسقف أخميم، مرجع سابق، ورقة: 19. مختصر البيان في تحقيق الإيمان، مرجع سابق، ص 158. رسالة البيان الأظهر في الرد على من يقول بالقضاء والقدر، مرجع سابق، ورقة 114.

(6) رسالة بولس لأهل رومية، الإصحاح: 9، العدد: 18.

(7) التكوين، الإصحاح: 25، العدد: 23.

(8) المقالات اللاهوتية ليوساب أسقف أخميم، مرجع سابق، ورقة 19. المؤتمن بن العسال، مجموع أصول الدين ومسموع محصول اليقين، المجلد 2، ص 334. مختصر البيان في تحقيق الإيمان، مرجع سابق، ص: 162. رسالة البيان الأظهر في الرد على من يقول بالقضاء والقدر، مرجع سابق، ورقة 114. تفسير رسالة بولس إلى أهل رومية، مرجع سابق، ص 62.

يخوض في ذلك يعمد إلى وضع قواعد تفسيرية أولية، وأهم تلك القواعد: (1) الاتفاق على أن نصوص الكتاب المقدس منها ما هو ظاهر المعنى ومنها ما هو خفي، (2) الاتفاق على أن نصوص الكتاب المقدس منها ما لا يقبل التأويل ومنها ما يقبله ويحتمله، (3) الاتفاق على أن المعنى الصحيح إنما يؤخذ من مجموع الأقوال الموجودة في تلك النصوص ظاهرها وخفيها، (4) الاتفاق على أن بعض النصوص لا تؤخذ على ظواهرها بل تأول⁽¹⁾.

وبالإضافة إلى نصوص الكتاب المقدس ضمن اللاهوتيون الأقباط كتبهم براهين متعددة في بيان قولهم في الجبر والاختيار، فقد استعانوا بكتب متنوعة مثلاً بأقوال الفلاسفة، بكلام أرسطو في كتابه السياسة في تدبير كلام الرئاسة، بكلام أفلميون في كتابه الفراسة، بكلام أفلاطون في باب القدر، واستعانوا أيضاً بأقوال اللاهوتيين من الآباء اليونان: بكلام غريغوريوس الناطق بالإلهيات، بكلام غريغوريوس النيسي، كما استعانوا أيضاً بكلام الرهبان: بكلام مار أفرام السرياني⁽²⁾.

كما استعانوا أيضاً بمجموعة من الاستدلالات، ويقصد بها مجموعة من التشبيهات التي حاولوا بها بيان الحق من مسألة الجبر والاختيار، وأخصها بالذكر مما وقفت عليه الدراسة: افتراضات متخيلة، كتصوير شخص يمتلك أرضاً فغرسها وكلف بها عمالاً لخدمتها وأوجد لها سواقي، لكنه أوقفها على وكيل أعطاه التصرف فيها بإذنه وتوكيله له، فمع أن تصرف العمال بالنسبة لهم طبيعي إلا أن الأمر بالنسبة للوكيل اختياري إذ هو المكلف، وأي تهاون أو أهمال إنما المحاسب عليه هو الوكيل⁽³⁾.

5. الجبر والاختيار في التراث الديني العربي المسيحي: جدل

هل تعرضت كتب الجدل ومقارنة الأديان التي ألفها علماء المسلمون في العصر الوسيط لمسألة الجبر والاختيار في المعتقد المسيحي، وتحديدًا لمعتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية؟ الجواب يستدعي قراءة متفحصية في تلك الكتب، لكن لا بد أولاً من وضع شروط مبدئية تتعلق بتلك الكتب وبأصحابها حتى يستقيم السؤال وجوابه، وأولها أن يكون الكتاب إنما هو خاص بعلم الجدل المقارن، فيخرج بذلك ما هو غير خاص به أو ما كان من علم العقيدة، ثانيها: أن يكون صاحبه قد عاش ما بين القرنين: 10 و14م، وهو العصر الذي بدأ فيه الأقباط يكتبون باللغة العربية، ثالثها: أن يكون صاحبه قد عاش بمصر أو أقام بها أو سافر إليها أو إلى إقليم كان للكنيسة القبطية الأرثوذكسية فيه أتباع كفلسطين وأرض الشام عامة وبلاد الحبشة.

(1) مجموع أصول الدين ومسموع محصول اليقين، مرجع سابق، المجلد 2، ص 336. مختصر البيان في تحقيق الإيمان، مرجع سابق، ص 149.

(2) مجموع أصول الدين ومسموع محصول اليقين، مرجع سابق، المجلد 2، ص 337. تفسير رسالة بولس إلى أهل رومية، مرجع سابق، ص 66. مختصر البيان في تحقيق الإيمان، مرجع سابق، ص 155.

(3) رسالة البيان الأظهر في الرد على من يقول بالقضاء والقدر، مرجع سابق، ورقة 119 و120.

إنه بعد البحث المضني والتنقيب في بطون وفهارس كتب علم الجدل المقارن التي ألفها المسلمون، يُخَلِّصُ بلا ما لا يدع مجالاً للشك بأن كثيراً من علماء المسلمين ممن وصلتنا كتاباتهم في ردهم على النصارى لم يلتفتوا إلى مسألة الجبر والاختيار في مجادلتهم كقضية منفصلة، فلا الغزالي في رده الجميل⁽¹⁾، ولا الباجي في رسالته لراهب فرنسا⁽²⁾، ولا الخزرجي في مقامعه⁽³⁾، ولا السموأل في مقصوده⁽⁴⁾، ولا الجعفري في رده⁽⁵⁾، ولا الدمشقي في رسالته القبرصية⁽⁶⁾، ولا القرافي في أدلته⁽⁷⁾، ولا ابن القيم في هدايته⁽⁸⁾، ولا البوصيري في مخرجه ومردوده⁽⁹⁾، ولا الدميري الديري في إرشاده⁽¹⁰⁾، وهم كلهم ممن عرّفوا مصرَ والشامَ، فما كتبوا عن معتقد الأقباط الأرثوذكس، ولا عن غيرهم في مسألة الجبر والاختيار، أما غيرهم فقد عرجوا عليها وناقشوها قليلاً، ومنهم من أطال بعض الشيء فيها، وقد كان ذلك في معرض كلامهم عن مسألة صلب المسيح من طرف اليهود هل كان باختياره أم مجبراً، ومن هؤلاء نجد: الجعفري في تخجيله⁽¹¹⁾ وبيانه⁽¹²⁾، القرطبي في إعلامه⁽¹³⁾، القرافي في أجوبته⁽¹⁴⁾، ابن تيمية في جوابه⁽¹⁵⁾، ابن الصلف

(1) الإمام الغزالي أخبر عن نفسه أنه زار الشام 'دمشق، بيت المقدس'، وقيل عنه أنه سافر إلى الإسكندرية وأقام بها. أبو حامد الغزالي، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، ص 15.

(2) من ترجمته يعرف أن الباجي أبو الوليد عرج على مصر. أبو الوليد الباجي. رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها، ص 16.

(3) لم أقف على معلومة تفيد بأن الخزرجي سافر إلى مصر، لكن من خلال نسخة من نسخ مخطوطات كتابه المخصص للرد على النصارى نقف على معلومة تشير إلى أنه دخل مصر والتقى فيها بنصراني وجادله، لكن هاته القصة لا توجد في نسخ أخرى لكتابه مما يعني أنها أدرجت وأنها تدليس، ومما يؤكد أن القصة مفبركة أن ذلك النصراني الذي تجادل مع الخزرجي قال إنه قبل أن يرد عليه سيستعين بعالم قبطي = مسيحي 'ابن عسال' وسيزوره لكي يسأله، ومعلوم أن ابن عسال المقصود هنا هو أحد أولاد العسال الثلاثة الأقباط المعروفين، وكانوا في بداية ق: 13م، ومن المعلوم أن الخزرجي كان قبل هذا الوقت بحوالي 100 سنة. كما أنه من خلال ما جاء في ذلك الجدل أن المسيحي نسطوري -جاء في كلامه بكر الخلائق وهي خاصة بالنساطرة- وابن عسال يعقوبي، فغريب أن يستعين نسطوري بيعقوبي على ما بينهما من خلاف عقدي، فيتضح بأن القصة مكذوبة، وعليه فالخزرجي لم يزر مصر كما هو منصوب عليه في ترجمات كتابه المحقق. أبو عبيدة الخزرجي، بين الإسلام والمسيحية، ص 34 و35 و42. أبو عبيدة الخزرجي، مقامع الصليبان، ص 7-10. الفاصل بين الحق والباطل، 'يتضمن حجة عز الدين المحمدي على حنا مقار العيسوي'، صفحات 3 و8.

(4) السموأل بن يحيى المغربي: ترعرع بفاس وانتقل إلى المشرق وسكن ببغداد، مما يعني غالباً أنه مر بمصر أو دمشق. السموأل المغربي، بذل المجهود في إفحام اليهود، ص 10. السموأل المغربي، غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود، ص 29.

(5) تقي الدين الجعفري، الرد على النصارى، هذا وقد تناول الجعفري المسألة في كتابيه الآخرين في الرد على النصارى.

(6) شمس الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي، كتاب فيه جواب رسالة أهل جزيرة قبرص، 'في الرد على النصارى'.

(7) الكتاب ينسبه البعض لمحمد بن صفي الدين الحنفي، وهو للقرافي صاحب الأجوبة الفاخرة. إدريس القرافي، أدلة الوحداية في الرد على النصرانية. هذا وقد تناول القرافي المسألة في كتاب الأجوبة.

(8) ابن القيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى.

(9) أحمد حسن بسج، ديوان البوصيري، صفحات 116-151.

(10) عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري الديري، إرشاد الحيارى في الرد على النصارى، صفحات 175-199.

(11) تقي الدين الجعفري، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صفحات 401-403.

(12) تقي الدين الجعفري، بيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود، ص 259.

(13) هناك اختلاف بين الباحثين حول مؤلف الإعلام، فهناك من جعله هو صاحب التفسير الشهير 'القرطبي' وقد أقام بمصر، وهناك من جعله شخصية أخرى لا يعرف عنها الكثير. القرطبي، الإعلام بما دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد ﷺ، الجزء 1، صفحات: 5-6، الجزء 4، صفحات 455-456.

(14) إدريس القرافي، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاخرة، الجزء 2، ص 590-591.

(15) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، المجلد 2، ص 102-116.

المحلي في منقذه⁽¹⁾، لكن يبقى الوحيد منهم ممن بيّنّا ولم يربطها بقضية الصلب وناقش فيها مسيحيا انطلاقا من نصوص الكتاب المقدس هو نجم الدين الطوفي في كتابه الانتصارات الإسلامية، وهذا ما يحسب له في هذا الباب دون غيره⁽²⁾، خصوصا إذا علم أن النصارى كانوا في كثير من المرات يناوؤون المسلمون في الجبر والاختيار⁽³⁾.

نأتي الآن إلى الجانب الآخر وهو الجانب المسيحي، فالذين جادلوا المسلمين من لاهوتي الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في القرون الوسطى في مسألة الجبر والاختيار، هم الآتية أسماؤهم:

- أعلام القرن: 10م:

ساوريس بن المقفع: قد يكون ساوريس ناقش المسلمين في قولهم المتعلق بالجبر والاختيار، لكن ذلك يحيطه شك يرجع لأسباب، الأول: أن الكثير من الباحثين يشك في نسبة كتاب: 'نظم الدر والجوهر وفيه الرد على القضاء والقدر' له، ثانيا: أن البحث لم يستطع الوقوف على مضمون هذا الكتاب، ثالثا: أن ساوريس وكتبه التي وردت عنه في جداله مع المسلمين إنما كانت أغلبها اتجاه المعتزلة، والمعتزلة هم موافقون له في قضية الجبر والاختيار⁽⁴⁾.

- أعلام القرن: 11 و 12م:

لم أقف على اسم شخصية لاهوتية قبطية تجادلت مع المسلمين حول معتقد الجبر والاختيار.

- أعلام القرن: 13م:

الرشيد أبو الخير بن الطيب: وله مقالة سماها: 'رسالة البيان الأظهر في الرد على من يقول بالقضاء والقدر'.

(1) ابن الصلف المحلى المالكي، واسمه محمد بن عبد القادر، وقد تعذر الوقوف على ترجمته، لكن نظرا لأننا وجدنا كتابه مخطوطا مع مخطوطة كتاب الديميري الديري، وأنه ينقل من كتاب التخجيل للجعفري تقي الدين، وأنه ينتقد عادة نصرانية ويقول عنها ما معناه: 'أنه ما زال بمصر لحد الساعة عادة قبيحة عند النصارى'، ترجح أنه مصري أو أقام بمصر وأنه أتى بعد هؤلاء الأعلام. حبيب الزيات، الصليب في الإسلام، ص، 38. المخطوط الباري، رقم: 5049 Arabe، ورقة 123.

(2) من المعروف أن نجم الدين الطوفي سافر إلى دمشق. نجم الدين الطوفي، الانتصارات الإسلامية، صفحات 3 و 111-120.

(3) مما يجب التنبيه عليه هنا أن ردود كل من القرافي في أجوبته الفاخرة وابن تيمية في جوابه الصحيح والدمشقي في رسالته إنما جاءت ردا على رسالة بولس الراهب إلى بعض المسلمين بصيدا ينتقد فيها الإسلام ونبيه، وبالإضافة إلى تلك الرسالة التي أرسلها فبولس الراهب كتب مقالات أخرى يجيب فيها عن أسئلة بعض شيوخ المسلمين، ومن بين تلك المقالات نجد مقالتي، المقالة الأولى: يجيب على بعض مشايخ عصره في الخير والشر، المقالة الثانية: رد على شيخ مسلم في اختيار الله للأبرار وحرية الإنسان، وهذا يعني أن قضية الجبر والاختيار كانت محل جدل بين المسيحيين والمسلمين في ذلك الوقت. لويس شيخو، مقالات دينية قديمة لبعض مشاهير كتبة النصارى من ق: 9 إلى ق: 13م، صفحات 40-46.

(4) إسحاق إبراهيم الباجوشي، مخطوط كتاب 'نظم الدر والجوهر وفيه الرد على القضاء والقدر لابن المقفع' المنسوب خطأ لابن المكين، ص 35 و 41-44.

الصفى بن العسال: في كتابيه: الأول: 'نهج السبيل في تخجيل محرفي الإنجيل'، وفيه يرد على تقي الدين الجعفري، والثاني: 'الصحائح في الرد على النصائح'، وفيه يرد على ابن ربن الطبري، وكلا الردين تناولوا مسألة الجبر والاختيار انطلاقاً من قتل اليهود للمسيح، هل كانوا مختارين أم مجبورين؟ المؤتمن بن العسال: له موسوعة لاهوتية سماها: 'مجموع أصول الدين ومسموع محصول اليقين'، وفيها ضمها أقواله وأقوال غيره أقباطا وغيرهم في مسألة الجبر والاختيار. النشو أبو شاكر بن بطرس الراهب: له كتاب ضخمة سماه: 'البرهان في القوانين المكملة والفرائض المهمة'، وفي المسألة الثلاثين: "في أن الله تعالى عالم لما يريد علمه" والمسألة الخامسة والأربعين: "في القضاء والقدر"، يتحدث عن الجبر والاختيار وينتقد أقوال من سبقه من المسلمين.

- أعلام القرن: 14م:

ابن المكين الصغير: له موسوعة ضخمة تسمى بـ 'مختصر البيان في تحقيق الإيمان'، وتدعى بـ 'الحاوي'، وخصص فيها مبحثاً حول القضاء والقدر، وتناول فيه مسألة الجبر والاختيار بذكر أقوال المسلمين وفرقهم وانتقد بعضها. وبالإضافة إلى ما سبق هناك أسماء أخرى عرضت بمعتقد المسلمين في قضية الجبر والاختيار في كتاباتها، لكن للأسف بعضها لم يستطع البحث الوقوف عليها وبالتالي جُهِلَ مضمونها، وبعضها عُرِفَ مضمونها لكن في نسبتها لأصحابها شكوك، ومنها: ميخائيل الدمياطي: له رسالة إلى أحد المسلمين. يوساب أسقف أخميم: بالإضافة إلى مقالاته اللاهوتية له مجادلة مع مسلم، وقد تكون هي نفسها إحدى مقالاته اللاهوتية السالفة الذكر. ميخائيل أسقف أترج ومليج: بالإضافة إلى أجوبته على مجموعة من الأسئلة التي أشير إليها سابقاً، له مجموعة من المقالات اللاهوتية يقدمها لمن يهمه الأمر من المسلمين، وفي واحدة منها يناقش عقيدة الاختيار المسبق، وفي أخرى يناقش مسألة القدر.

والحقيقة أن الأسماء التي يمكن أن نقول عنها إن لها الريادة في الجدل بخصوص معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في مسألة الجبر والاختيار هي أربعة، إذا ما تم إقصاء ساوريس بن المقفع للأسباب السالفة الذكر، الأول: الرشيد أبو الخير بن الطيب، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن الرشيد أدق من ناقش قضية الجبر والاختيار من الأقباط في تلك العصور ولكنه كان مجانباً للصواب في ذلك⁽¹⁾، الثاني: المؤتمن بن العسال، الثالث: النشو أبو شاكر بن بطرس الراهب، الرابع: ابن مكين الصغير، ولكل واحد ما يميزه عن الآخر، فالرشيد أول من أفرد مقالة عن مسألة الجبر والاختيار كما أنه ضمها استدلالات عقلية

(1) وديع أبو الليف الفرنسيكاني، الرشيد أبو الخير بن الطيب وكتابات، الجزء 3، ص: 183 و184.

ومنتظية في إثبات معتقده، والمؤتمن بالإضافة أنه نقل مقالة الرشيد في موسوعته واختصرها نجده سينقل نصوصا طويلة في إثبات معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية عن واحد من أهم الآباء اليونانيين الذين ناقشوا هاته المسألة العويصة، والنشؤ أبو شاعر خصوصية ما قام به تتمثل في أنه نقل ردودا للفخر الرازي في جداله حول هاته المسألة وتابعه فيها تصحيحا أو تقويما أو نقدا، أما ابن مكيين الصغير فما فعله هو عبارة عن شروحات طويلة عن بعض نصوص الكتاب المقدس التي قد تفهم خطأ، كما أنه ضمن كتابه خلاصة لأراء ومذاهب الفلاسفة والمتكلمين المسلمين في مسألة الجبر والاختيار بذكر عديد من أسماءهم.

وقد اعتمد اللاهوتيون الأقباط في مجادلته على بعض كتابات علماء المسلمين، فالرشيد أبو الخير ابن الطيب يستقي استدلالاته مما كتبه الفخر الرازي، وقد أشار إلى ذلك صراحة حين ذكر في مقالته كتاب المحصل، والصفى ابن العسال يجادل تقي الدين الجعفري بالرجوع إلى مؤلفه تخجيل محرفي التوراة والإنجيل، كما أن كثيرا منهم ينقلون من أقوال المسلمين ومذاهبهم، وفي نقلهم تتأكد مسألة تأثير الفكر اللاهوتي العربي المسيحي بالفكر الإسلامي.

أما عن الاقتباسات فأكثر من توسع في هذا الجانب هو النشؤ أبو شاعر بن بطرس الراهب، ففي قوانينه ينقل فقرات طويلة من أقوال الرازي في كتابه 'الأربعين في أصول الدين'، ثم يذكر أجوبة الرازي على من يخالفه في عقيدة الجبر، ثم يتابعه فيها بالتصويب أو في بعضها بالسكوت⁽¹⁾.

وفي مجادلته لخصومهم لم يصحح لاهوتيو الكنيسة القبطية الأرثوذكسية برأيهم حول عقيدة الإسلام في مسألة الجبر والاختيار فلا نجد لهم قولا واحدا يقولون فيه بأن الإسلام ونصوصه الشرعية قرآنا وسنة تقول بأن الإنسان مجبر في أفعاله وليس مخيرا، مما يمكن اعتبار هذا الأمر موقفا غامضا منهم، خصوصا أنه ومع عدم تصريحهم بذلك فمن المعروف أنهم جادلوا المسلمين واعتبروهم بأنهم يعتقدون بأن الإنسان مجبر في أفعاله وليس مخيرا، وخيرا فعل الأقباط بأنفسهم لأنهم لو انتقدوا نصوص شريعة الإسلام لسقطوا في تناقضات، منها: أن مسألة النصوص الشرعية ومشكل دلالتها على الجبر أو الاختيار واقع أيضا حتى في المسيحية في نصوص كتابها المقدس، ومنها: أن قواعد تفسير النصوص الشرعية وطرق الاحتجاج التي يستعملها المسلمون من تأويل أقرها الأقباط أنفسهم، بل إن بعضا منهم ينتقد خصمه المسلم في ذلك قائلا: "وإن صح القبول منه في هذا الأمر الجائز صح أن نقول لأصحابنا نحن أيضا لا نسمع قوله في أن الاستواء هو الاستيلاء، وأن اليد هي القوة، وأن المقصود ببصر العين العلم، فإن الاستواء واليد والعين تدل في العرف العام على الجسمية"⁽²⁾.

(1) الفخر الرازي، الأربعين في أصول الدين، الجزء 1، ص 176 وما بعدها. النشؤ أبو شاعر بن بطرس الراهب، البرهان في القوانين المكملة والفرائض المهمة، ورقة 191.

(2) الصفى بن العسال، نهج السبيل في تخجيل محرفي الإنجيل، ص، 27.

إن هذا الانتقاد الغير الصريح وخصوصا من المناقشة المباشرة لنصوص القرآن الكريم في مسألة الجبر والاختيار قد نجد له مبررا موضوعيا، وهو أن الأقباط في تلك العصور في جدالهم مع المسلمين لا يتعرضون لنصوص القرآن الكريم باللفظ وادعاء التناقض فيها بصورة صريحة، ويقصد بالصرحة هنا كتابتها لفظا وليس معنى، فنجدهم فقط يتلفظون بمعاني قرآنية عن المسألة، أو أنهم يكتبون النص الشرعي ويفسرونه وما توافق مع عقيدتهم، لكنهم أبدا لا يكتبونها لفظا ويدعون التعارض ويتناولونها بالجدل، وفي تصرفهم هذا فالذي يظهر أنه راجع لخوفهم على أنفسهم، وقد يكون أيضا احتراما لعقد الذمة، وخير مثال موضح قول أحدهم مفسرا استنكافه في رده عن إعجاز القرآن وفصاحته: "جوابه أن بعض المتفلسفين قد أجاب عن هذا بما لا يحتمل الذميمة إirاده"⁽¹⁾.

وإذا كان هذا هو حال الأقباط في جدلهم مع المسلمين من ناحية بيانه وربطه بنصوص الإسلام المقدسة، فالأمر مختلف تماما حينما يتعلق الأمر بأقوال علماء المسلمين حول مسألة الجبر والاختيار، فهم يصرون على القول بأن المسلمين يعتقدون بأن الإنسان مجبر على أفعاله وأنه ليس مختارا مريدا، وهذا القول افتئات كبير لا على الإسلام ولا على المنتسبين إليه، فلم يصرح أحد من المسلمين يوما بأن الإنسان ليس قدرة على اختيار أفعاله، ومع ذلك فالأقباط يلصقون هاته المقولة بأن المخالفين ويقصدون المسلمين يقولون بأن الإنسان مجبر وليس مخير، وانظر إلى قول أحدهم حين يقول: "أما قوله إن الخير والشر من الله فهذا الرأي يسقط معه العدل المقرر في العقول ثم الشرائع"⁽²⁾، ويبدو من قوله هذا بحسب ظاهره كأن خصمه هنا وهو الجعفري يقول بأن الله هو من خلق الشر، والذي يؤكد أن القائل هنا فيما قاله عن الجعفري من أن نسبة الشر للإله ليست فقط نسبة تقتضي علمه بوجود ذلك الشر، وإنما الاستنكار واقع على الادعاء بأن الإله هو من أوجد الشر هو استمراره في الشرح والتوضيح قائلا: "فلأنه إذا كانت الشرور منه تعالى فلا مانع أن تكون كل الشرائع التي وردت فيها الشرور والقبائح منه تعالى الله عن ذلك، وهم كذلك يقولون إن كل الأمور منه الشرائع الكفرية والآراء الرديئة والأعمال السيئة"⁽³⁾.

من خلال ما سبق يتضح أن الكلام المنقول عن الجعفري هو عن إيجاد الشر وليس عن ما يترتب عن هذا الإيجاد، لكن مجادله ربط الإيجاد بما سيترتب عنه ممن فعله، وعليه يكون من أوجد الشر هو من يتحمل مسؤوليته، لذا كان لازما البحث عن قول الجعفري ومعرفة مقصوده من ذلك القول الذي صرح به مجادله في دعواه تلك، وبالرجوع إلى ما قاله الجعفري لا نجد يقول ما نُعِتَ به ولم يقصده مطلقا، بل الذي قاله وقصده هو أن الله تعالى فعال لما يريد، ومع هاته الإرادة فقد أوجد سبحانه الشر، ووجوده لا

(1) نهج السبيل، مرجع سابق، ص 119 و120.

(2) المرجع سابق، ص 99 و100.

(3) المرجع سابق، ص 100. ومما قاله صاحب النهج أيضا: "إذا كان الإنجيل قد تغير فبحسب عقيدة أن الخير والشر من الله، فالذي غيره هو الله تعالى وليس النصارى".

يقترن بأفعال العباد، بل وجوده حسن، وهو من إرادة الله المطلقة التي ليس لأحد الحق في الاعتراض عليها فهو سبحانه مالك في ملكه يفعل ما يريد⁽¹⁾.

إن التوضيح السابق لكلام الجعفري يبين عدم دقة ما يصرح به الأقباط عن خصومهم في بعض المرات، فكأن السامع حين يسمع كلام خصم الجعفري حين يقول: "قوله إن الخير والشر من الله"، يظن أن قائله يربط بين إيجاد الشر وبين تحمل المسؤولية في إيجادها، خصوصاً وأن الجعفري وضح وعلل كيف يكون الله تعالى موجدا للشر وأنه من أوجده، ذلك أنه لا وجود لشيء في الكون إلا بقدرة الله تعالى، ثم بين أن الله تعالى يفعل ما يشاء وأنه لا يفعل إلا حسناً، فكأنه يقول إن في إيجاد الله تعالى للشر صلاح، وفي فعل الإنسان له فساد، وهذا ما يقتضيه مقام الألوهية من أوصاف الكمال والتنزيه.

يتضح من الأقوال السابقة كيف أن بعض الأقباط في جدلهم مع المسلمين حول مسألة الجبر والاختيار يزعمون أن المسلمين يقولون بأن الإنسان ليس مخيراً ولا قدرة له في الفعل وأنه مجبر لا إرادة له، وعموماً فالأقباط في هذا الجدل سلكوا ثلاثة مسالك في بيانه، وما يهم أكثر هو المسلك الثاني والثالث:

- المسلك الأول: القول بأن الإسلام يقول بالجبر كما سبق أن بُين في موقف أحد اللاهوتيين مع تقي الدين الجعفري.

- المسلك الثاني: ربط مسألة الاختيار والجبر بوجود الخير والشر.

- المسلك الثالث: ربط مسألة الاختيار والجبر بعلم الله ومشيئته.

فبخصوص المسلك الثاني نرى أن اللاهوتي القبطي ابن مكيين الصغير في كتابه يعتبر أن من يقول بعدم استقلال الإنسان بإيجاد فعله هو إجبار، ثم يعدد كثيراً من الآراء التي تبين كيفية عدم استقلاليتها، مباشرة بعد ذلك يأتي على ذكر الشر والخير، ويقول أن القول بالجبر يقتضي أن الله هو علة الشرور، وإذا رجعنا لتلك الآراء فإن ثلاثة منها فهي لا تنفي الاختيار والقدرة في الفعل الإنساني إنما حاولت التوفيق بين مسألة وقوع الفعل الاختياري وبين قدرة الله الذي أعطى القوة للإنسان حتى يفعل ذلك الفعل الاختياري، وهذا التوفيق قد يفهم منه أن الله سبحانه لما أعطاه تلك القوة فإذا فعل بها شراً نسبت إليهما معا وحاشاه تعالى، أما الرابعة منها وهو الرأي الخاص بالإمام الأشعري القائل بأنه لا تأثير لقدرة العبد في مقدوره أصلاً وأنه سبحانه يخلق الفعل ويخلق له قدرة متعلقة به يعطيها للإنسان، فالمفهوم من هذا التأويل هو بيان مصدر قوة الفعل وليست نوعية الفعل، وعليه فالآراء كلها إنما تتحدث عن تعلق فعل الإنسان بالقدرة التي أعطاه الله له لكي يفعل ذلك الفعل، أما توجيهاً خيراً أو شراً فالإنسان له الاختيار في استعمال تلك القوة التي خلقت وأعطيت له إن شاء فعل الخير وإن شاء فعل الشر⁽²⁾.

(1) تخجيل محرفي التوراة والإنجيل، مرجع سابق، ص 403.

(2) مختصر البيان في تحقيق الإيمان، مرجع سابق، ص 154 و155.

وبخصوص المسلك الثالث: يرى الأقباط بأن مقولة الإنسان مخير لكن مع القول بأنه لا يقع شيء في الكون إلا بعلمه ومشيتته قولان متناقضان، بحيث إذا كان الله تعالى في سابق علمه قد علم ما سيختاره الإنسان فهو سبحانه مريد له، وإذا كان مريداً له فإذا فعل الإنسان الشر نسب إليه وحاشاه تعالى، والحقيقة أن الأقباط أنفسهم وإن لم يصرحوا بأنه لا يقع في ملكه سبحانه إلا ما يريد حين تكلموا عن الجبر والاختيار، فقد صرحوا بذلك أكثر من مرة في أبواب العقيدة الأخرى كالصفات الإلهية، كما أن بعضهم حاول فك هذا الاستشكال الواقع بين القول بحرية الإنسان من جهة وبين مشيئة الله وعلمه سبحانه من جهة أخرى.

هذا وقد ذهب الأقباط في رؤيتهم الجدلية مع مخالفهم ممن نسبوا إليهم القول بالجبر وسلب الإنسان حرية الاختيار إلى الاستعانة بمجموعة من الأدلة التي تبين صحة قولهم، وقد كانت تلك الأدلة مستنتجة ومستلزمة من القول بالجبر، وهذه أهمها: فالقول بالجبر يؤدي إلى وصف الله تعالى بالظلم حاشاه سبحانه، والقول به أيضاً يؤدي إلى سلب التكريم عن الإنسان بما مُميز من عقل، ولا عقل إلا بوجود القدرة والاختيار، والقول بمشيئة الله وقدرته في مسألة الجبر والاختيار يؤدي إلى وصف الله تعالى بأنه أصل الشرور حاشاه سبحانه، كما أن ذلك قد يفضي إلى القول بعدم علم الله سبحانه بالجزئيات حاشاه سبحانه.

إن هاتيه الاحتجاجات والمعارضات وإن كانت ظاهرة وواقعة فيما كتبه الأقباط عن مسألة الجبر والاختيار وعن عقيدتهم وعقيدة مخالفهم من المسلمين لا يعني عدم وجود بعض التجاذبات أو على الأصح توافقات، وهذا ما انعكس في تصرف أحدهم عندما نقل أقوال الفخر الرازي في رده على هشام بن الحكم ثم حاول توجيهها بذكر أخطائها وتصويبها⁽¹⁾، وعلى أي فعقيدة الإسلام تعتبر الإنسان له القدرة والاختيار على فعله، أما على مستوى نصوصه الشرعية فكل يحمل على محله الصحيح، ومع وجود تلك الاستطاعة والتخير فلا يقع في الكون أمر إلا بعلمه وقدرته ومشيتته، وعلمه وقدرته ومشيتته لا تعني رضاه عن الشر، والعقيدة المسيحية والأقباط بدورهم قالوا أيضاً بحرية الإنسان في اختيار فعله، لكنهم لم يقبلوا بالحديث عن مشيئة الله وإرادته في هذا الباب لأنها تفتح القول بالجبر⁽²⁾، ومع ذلك فهم نسبوا له العلم والقدرة والمشيئة المطلقة، وكلا العقيدتين لهما نصوص يفهم منها الاختيار وأخرى يفهم منها الجبر.

(1) البرهان في القوانين المكملة والفرائض المهمة، مرجع سابق، ورقة 191 وما بعدها.

(2) هناك اعتقاد آخر لبعض المنتسبين للمسيحية يقول أصحابه بالجبر، وقد صرح به لاهوتيو الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في عصورها الوسطى لكن لم ينسبوه لفرقة أو شخصية معينة.

6. الخاتمة

- في خاتمة هاته الدراسة يتوصل إلى العديد من النتائج التي تتعلق بمسألة الجبر والاختيار وموقف الكنيسة القبطية الأرثوذكسية لاهوتا وجدلا، ومنها:
- لم يترك الأقباط الأرثوذكس في العصر الوسيط الفرصة دون الخوض في أدق الأمور العقيدية، ومنها بيان المعتقد الصحيح فيما يرونه في مسألة الجبر والاختيار فخلفوا بذلك تراثا تفتخر به كنيستهم.
 - لم يقبل الأقباط أبدا القول بأن الإنسان مجبر على فعل ما يقوم به، بل صرحوا بأن العقيدة الصحيحة هي أن الإنسان مخير في أفعاله له القدرة على فعل ما يشاء.
 - حاول الأقباط دفع كل ما من شأنه أن يتوهم أو يفهم منه أن الانسان مجبر في أفعاله وليس مخيرا، كالقول مثلا بأنه لا يقع في الكون إلا مشيئة الله وإرادته حين الكلام عن حرية الإنسان في أفعاله.
 - بين الأقباط ما اعتقدوه في مسألة الجبر والاختيار من خلال تفسير آيات الكتاب المقدس التي تقول بأن الإنسان مخير في أفعاله وتأويل الآيات التي يمكن أن يفهم منها عكس ذلك.
 - جادل الأقباط غيرهم ممن خالفوهم في عقيدة الجبر والاختيار باستعمال براهين واستشهادات عقلية.
 - اعتقد الأقباط بأن القول بإرادة الله المطلقة في إيجاد للخير والشر، ومنحه سبحانه وتعالى الإنسان القدرة على القيام بالأفعال كلام يتضمن تصريحاً أو تلميحاً بعقيدة الجبر.
 - اعتمد الأقباط في بيان معتقدتهم في مسألة الجبر والاختيار على بعض من استدلالات وآراء علماء المسلمين وكتبهم.
 - حاول بعض الأقباط القيام بمراجعة بعض آراء علماء المسلمين فكانت محاولة للتوفيق بين القول بالاختيار من جهة وبين القول بإرادة الله المطلقة ومشيئته النافذة من جهة أخرى.
 - ما قام به بعض الأقباط من إظهار معتقدتهم فيما خص مسألة الجبر والاختيار وفي جدلهم مع خصومهم المسلمين مظهر من مظاهر الثقاف والتأثير والتأثر بين الفكر والعقيدة الإسلامية وبين الفكر واللاهوت المسيحي.
 - إن الثقاف بين الفكر والعقيدة الإسلامية وبين الفكر واللاهوت المسيحي أخرج إلى الوجود تراثا دينيا عربيا مسيحيا يفتخر به الفكر والأدب العربي، وهو أمر خاص بهاته المنطقة حيث تلاقت الأديان فيما بينها لغويا ودينيا واجتماعيا فأعطت معنى للاختلاف والتعايش بينها.

7. قائمة المصادر والمراجع

- أبونا، ألبير، (2002م)، تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية، لبنان، دار المشرق.
- إدلي، ناوفيطوس، (1993م)، الكتاب العرب المسيحيون وعلم اللاهوت، مجلة المسرة، العدد 805، ص 948-935.
- ابن إسحاق، حنين، (1991م)، مقالة في الآجال، مجلة المشرق، العدد 2، ص 425-403.
- الإسرائيلي، عبد المسيح، الاستدلال، المخطوط الفاتيكانى، رقم 145 *Arabe*
- أسقف أخميم، يوساب، المقالات اللاهوتية، المخطوط الباريسي، رقم 4711 *Arabe*
- الباجوشي، إسحاق إبراهيم، (2015م)، مخطوط كتاب نظم الدر والجوهر وفيه الرد على القضاء والقدر لابن المقفع 'المنسوب خطأ لابن المكين'، مجلة التراث العربي المسيحي، العدد 1، ص 50-27.
- الباجي، أبو الوليد، (1986م)، رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها، مصر، دار الصحوة.
- برصوم، أغناطيوس أفرام الأول، (1943م)، اللؤلؤ المنتثر في تاريخ العلوم والآداب السريانية، سوريا، مطبعة السلامة.
- البصري، عمار، (1977)، كتاب البرهان وكتاب المسائل والأجوبة، لبنان، دار المشرق.
- التويجري، عبد الإله بن عبد العزيز بن صالح، (1436/1435هـ)، تحقيق كتاب فيه جواب رسالة أهل جزيرة قبرص، 'في الرد على النصارى' لشمس الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي، قسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (1999م)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، المملكة العربية السعودية، دار العاصمة.
- جاد الله، عادل سالم عطية، (2018م)، حرية الإرادة ووجود الشر الأخلاقي في العالم بين اللاهوت المسيحي ومتأخري المعتزلة، يوحنا الدمشقي والقاضي عبد الجبار نموذجاً، مجلة الدراسات العربية، العدد 38، ص 452-401.
- جاد الله، عادل سالم عطية، (2000م)، حرية الإرادة وإشكالية الشر في العالم عند اللاهوتيين يوحنا الدمشقي وتيودور أبي قرة مقارنة مع المعتزلة، المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، العدد 32، ص 227-153.
- جرجس، شفيق بيشوي، (2016م)، شخصيات تاريخية، "عبد المسيح الإسرائيلي الراقي"، من هو؟ تاريخه. كتاباته. "، مصر، الكلية الإكليريكية اللاهوتية للقبط الأرثوذكس، دير الأنبا رويس.
- الجعفري، تقي الدين، (1988م)، الرد على النصارى، قطر، مكتبة المدارس.

- الجوزية، ابن القيم، (1407هـ)، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، مصر، المكتبة القيمية.
- حسن بسج، أحمد، (2005م)، ديوان البوصيري، لبنان، دار الكتب العلمية.
- حسن، هشام محمد، (2021م)، الإسلام في المخيلة البيزنطية في ق 8 م، يوحنا الدمشقي نموذجاً، *Journal Of Medieval And Islam History*، المجلد 14، العدد 1، ص 15-86.
- الخزرجي، أبو عبيدة، (د.ت)، بين الإسلام والمسيحية، مصر، مكتبة وهبة.
- الخزرجي، أبو عبيدة، (د.ت)، مقامع الصلبن، تونس، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية.
- خليل اليسوعي، سمير، (2000م)، أبو قرة 'المؤلفات'، لبنان، دار المشرق.
- أبو الخير بن الطيب، الرشيد، ترياق العقول في علم الأصول.
- أبو الخير بن الطيب، الرشيد، رسالة البيان الأظهر في الرد على من يقول بالقضاء والقدر، المخطوط الفاتيكاني، رقم 119. *Arabe*
- داود عبد الله، مرقص، (2012م)، قضية الاختيار، هل حقا يختار الله أناسا ويرفض آخرين؟ مصر، كنيسة العظيم مار جرجس-سبورتنج.
- دفاعيات في العصر العباسي الأول، 'طيموتاوس الأول'، (د.ت)، النمسا، نور الحياة.
- دكاش، سليم، (1996م)، أبو رائطة التكريتي ورسالته في الثالوث المقدس، بيروت، دار المشرق.
- الدمشقي، يوحنا، (1984م)، المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، لبنان، المكتبة البولسية.
- الدمشقي، يوحنا، (1997م)، الهرطقة المئة، (د.د).
- الدميري الديري، عبد العزيز بن أحمد بن سعيد، (2018م)، إرشاد الحيارى في الرد على النصارى، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد 100، ص 175-199.
- ديك، أغناطيوس، (1982م)، ميمر في وجود الخالق والدين القويم، لبنان، المطبعة البولسية.
- ديك، أغناطيوس، (2007م)، مجادلة أبي قرة مع المتكلمين المسلمين في مجلس خليفة المأمون، سوريا، (د.د).
- ديميتري، موريس كامل، (1955م)، نقاوة عقائد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، مصر، المطبعة التجارية الحديثة.
- الرازي، الفخر، (1406هـ)، الأربعين في أصول الدين، مصر، مطبعة التضامن.
- الراهب، النشو أبو شاعر بن بطرس، البرهان في القوانين المكملة والفرائض المهمة، المخطوط الفاتيكاني، رقم 116. *Arabe*
- رستم، أسد، (2017م)، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداي.

- الزيات، حبيب، (1935م)، الصليب في الإسلام، لبنان، مطبعة القديس بولس.
- ساكو، لويس، (2009م)، الجاثليق طيموتاوس الكبير، لبنان، دار المشرق.
- ساهاس، دانييل، (1995م)، الشخصية العربية في الجدل المسيحي مع الإسلام، مجلة الاجتهاد، العدد 28، ص 109-136.
- السدمنتي، بطرس، مطلع النجاة بالمناجاة.
- السدمنتي، بطرس، مقالة في الاعتقاد، المخطوط الباري، رقم 4786 *Arabe*
- السدمنتي، بطرس، مقالة في تهذيب النفس 'في العمليات'، المخطوط الفاتيكان، رقم 126 *Arabe*
- السدمنتي، بطرس، (د.ت)، القول الصحيح في آلام السيد المسيح، (د.د).
- السدمنتي، بطرس، (1643 للشهداء)، رسالة في تهذيب النفس، مجلة صهيون، العدد 3، ص 65-71.
- السدمنتي، بطرس، (1979م)، مقالة تنفي الشك والكفر عن النصارى الموحدين، مجلة صديق الكاهن، العدد 1 و2، ص 44-58.
- السدمنتي، بطرس، تعاليم روحانية وألفاظ فلسفية، المخطوط الفاتيكان، رقم 126 *Arabe*
- السلامة، حمود بن إبراهيم، النصارى الأقباط 'دراسة عقدية'، (1438هـ/2017م)، الرياض، مركز الفكر الغربي.
- السلايمة، رنا مازن، (2013م)، حرية الإرادة والاختيار في اليهودية والإسلام 'دراسة عقدية مقارنة'، الأردن، دار الحامد.
- الشرفاوي، باسم سمير، (2017م)، مدخل إلى علم التراث العربي المسيحي، مصر، المركز الفرنسي سكاني.
- الشهري، عبد الله بن علي، الروم الأرثوذكس 'عرض ودراسة في ضوء العقيدة الإسلامية'، (1438هـ/2017م)، الرياض، مركز الفكر الغربي.
- شيخو، لويس، (1920م)، مقالات دينية قديمة لبعض مشاهير كتبة النصارى من ق: 9 إلى ق: 13م، لبنان، مطبعة الآباء اليسوعيين.
- شيخو، لويس، (2000م)، المخطوطات العربية لكتبة النصرانية، لبنان، دار المشرق.
- الصغير، ابن مكين، (د.ت)، مختصر البيان في تحقيق الإيمان، مصر، المطبعة التجارية الحديثة.
- الطوفي، نجم الدين، (د.ت)، الانتصارات الإسلامية، (د.ب)، مكتبة النافذة.
- عازر، جرجس صموئيل، (د.ت)، توافق العقائد الأرثوذكسية، مصر، مكتبة مار جرجس.
- عبد السيد، إبراهيم، (د.ت)، الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية، مصر، بطريركية الأقباط الأرثوذكس. كنيسة مار جرجس.

- ابن عدي، يحيى، (1980م)، مقالة في التوحيد، لبنان، المكتبة البولسية.
- ابن العسال، الصفي، (1643 للشهداء)، نهج السبيل في تخجيل محرفي الإنجيل، مصر، مطبعة عين شمس.
- ابن العسال، المؤتمن، (1999م)، مجموع أصول الدين ومسموع محصول اليقين، فلسطين/مصر، المركز الفرنسي سكاني للدراسات الشرقية المسيحية/مطبعة الآباء الفرنسيين.
- غراف، جورج، تاريخ الأدب العربي المسيحي 'الأقباط'، غير منشور.
- الغزالي، أبو حامد، (1990م)، الرد الجميل للإلهية عيسى بصريح الإنجيل، بيروت، دار الجيل.
- الفاصل بين الحق والباطل، (1317هـ)، مصر، (د.د.).
- فييه، جان موريس، (1990م)، أحوال النصارى في خلافة بني العباس، لبنان، دار المشرق.
- قده، محمود عبد الرحمان، (1419هـ/1998م)، تحقيق كتاب تخجيل من حرف التوراة والإنجيل لتقي الدين الجعفري، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
- القرافي، إدريس، (د.ت)، أدلة الوجدانية في الرد على النصرانية، (د.د.).
- أبو قرة، تاودروس، (2006م)، ميمر في الحرية، لبنان، دار المشرق.
- القرطبي، (د.ت)، الإعلام بما دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد ﷺ، (د.ب)، دار التراث العربي.
- ابن قنبر، مرقص، (1895م)، شرح سفر التكوين 'الدر الثمين في شرح سفر التكوين'، مصر، المطبعة الخديوية.
- قيصر، ابن كاتب، (1994م)، تفسير سفر الرؤيا، (د.ب)، مكتبة المحبة.
- قيصر، ابن كاتب، (د.ت)، تفسير رسالة بولس إلى أهل رومية، مصر، المطبعة القبطية.
- الكتاب المقدس (الفاندايك)
- الليبي، أمل بنت مبروك بن ناهس، (1432/1431هـ)، تحقيق كتاب بيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود لتقي الدين الجعفري، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.
- أبو الليف الفرنسي سكاني، وديع، (2010م)، الرشيد أبو الخير بن الطيب وكتابات، مجلة مدرسة الإسكندرية، الجزء 1، العدد 4، ص 175-185. الجزء 3، العدد 6، ص 181-187.
- محمد داود، ناجي، (1984-1985م)، تحقيق كتاب الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة لإدريس القرافي، قسم الدراسات العليا الشرعية، كلية الشريعة الإسلامية والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

- محمود متولي، تامر محمد، (2020م)، القضاء والقدر في ضوء الكتب المقدسة 'دراسة مقارنة'، مجلة مقاربات فلسفية، المجلد 7، العدد 1، ص 31-54.
- المخطوط الباري، رقم 213. *Arabe*.
- المخطوط الباري، رقم 215. *Arabe*.
- المخطوط الباري، رقم 5049. *Arabe*.
- المخطوط الفاتيكان، رقم 97. *Vat.ar*.
- المخلصي، يوسف الشماس، (1949م)، خلاصة تاريخ الكنيسة الملكية، لبنان، المطبعة المخلصة.
- المغربي، السموال، (1989م)، بذل المجهود في إفحام اليهود، سوريا، دار القلم.
- المغربي، السموال، (2006م)، غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود، مصر، دار الآفاق العربية.
- المقاري، أثناسيوس، (2012م)، فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندرية، مصر، مطابع النوبار.
- المقاري، أثناسيوس، (د.ت)، معجم المصطلحات الكنسية، (د.د).
- ابن المقفع، ساوريس، (1978م)، مصباح العقل، مصر، مطبعة دار العالم العربي.
- المنكالي، كريم، (2024م)، اللاهوتيون الأقباط وكتابات علماء المسلمين خلال ق: 13م، أسرة أولاد العسال نموذجاً، 'بحث في طرق ومناهج التأليف'، مجلة الدراسات العقيدية ومقارنة الأديان، المجلد 13، العدد 31، ص 9-62.
- ميامر تاودروس أبي قرة أسقف حران، أقدم تأليف عربي نصراني، (1904م)، بيروت، مكتبة الفوائد.
- نصر الله، جوزيف، (1991م)، منصور بن سرجون 'المعروف بالقدّيس يوحنا الدمشقي'، لبنان، المكتبة البولسية.

8. Bibliography List

- Abd al-Sayyid, Ibrahim, (w.year), Doctrinal Differences Between Christian Denominations, Egypt, Coptic Orthodox Patriarchate, St. George Church.
- Abona, Albert, (2002), History of the Eastern Syriac Church, Lebanon, Dar Al-Masheq.
- Abu al-Khayr ibn al-Tayyib, Al-Rashid, The Antidote to Intellects in the Science of al. Usul.
- Abu al-Khayr ibn al-Tayyib, Al-Rashid, The Epistle of the Most Apparent Statement in Response to Those Who Say of Fate and Predestination, Vatican Manuscript, No. 119 Arabe.
- Abu Qurrah Tawdros, (2006), Mimmer in Freedom, Lebanon, Dar Al-Mashreq.

- Abullif, Wadi al-Franciscani, (2010), Al. Rashid Abu al. Khayr ibn al. Tayyib and His Writings, Journal of the Alexandria School, Vol. 1, No. 4, pp. 175–185; Vol. 3, No. 6, pp. 181–187.
- Al-Baji, Abu Al-Walid, (1986), The letter of the monk of France to the Muslims and the answer of Judge Abu al. Walid Al. Baji to it, Egypt, Dar Al-Sahwa.
- Al-Bajushi, Ishaq Ibrahim, (2015), Manuscript of the Book The Arrangement of Pearls and Jewels, Refuting Predestination and Fate Attributed Incorrectly to Ibn al. Makin, Journal of Arab Christian Heritage, No. 1, pp. 27–50.
- Al-Damirri al-Dirini, Abd al-‘Aziz ibn Ahmad ibn Said, (2018), Guiding the Perplexed in Refuting the Christians, Horizons of Culture and Heritage, No. 100, pp. 175–199.
- Al-Ghazali, Abu Hamid, (1990), The Beautiful Refutation of the Divinity of Jesus by the Explicit Gospel, Beirut, Dar al-Jil.
- Al-Isra'ili, 'Abd al-Masih, The Reasoning, Vatican Manuscript, No. 145 Arabe.
- Al-Jaafari, Taqi Din, (1988), Al. Radd alā l. Nasārā, Qatar, Schools Library.
- Al-Jawziyya, Ibn Qayyim, (1407 AH), Hidāyat al hāyārā fi ajwibat al. Yahud wa. l. Nasārā, Egypt, al-Maktabah al-Qayyimiya.
- Al-Khazraji, Abu Ubaida, (W.year), Between Islam and Christianity, Egypt, Wahba Library.
- Al-Khazraji, Abu Ubaida, (W.year), Maqāmi as. Sulbān, Center for Economic and Social Studies and Research, Tunisia, Tunisian University.
- Al-Laheebi, Amal bint Mabrouk bin Nahas, Investigation of the book: Bayan al. Wadih al. Mashouhud min Fadha'ih al. Nasara wa al. Yahud by Taqi al-Din al-Ja'fari, Department of Islamic Studies, College of Arts and Humanities, Umm al-Qura University, Kingdom of Saudi Arabia, (1431/1432 AH).
- Al-Maghribi, al-Samaw'al, (1989), Exerting Effort to Silence the Jews, Syria, Dar al-Qalam.
- Al-Maghribi, al-Samaw'al, (2006), The Ultimate Goal in Refuting Christians and Jews, Egypt, Dar al-Afaq al-‘Arabiyya.
- AL-Makin the Younger, (W.year), Mukhtasar al. bayān fi tahqiq al Iman, Egypt, Modern Commercial Printing Press.
- Al-Maqari, Athanasius, (2012), Catalogue of the Writings of the Fathers of the Alexandrian Church, Egypt, Nubar Press.
- Al-Maqari, Athanasius, (W.year), Dictionary of Ecclesiastical Terms, (W.house).

- Al-Minkali, Karim, (2024), Coptic Theologians and Muslim Scholars Writings During the 13th Century: The Al. Assal Family as a Model, A Study in Methods and Approaches of Composition, Journal of Doctrinal Studies and Comparative Religion, Vol. 13, No. 31, pp. 9–62.
- Al-Mukhlisi, Yusuf al-Shammas, (1949), Summary of the History of the Melkite Church, Lebanon, Al-Mukhlisiyya Press.
- Al-Qarāfi, Idris, (W.year), Proofs of Monotheism in Refutation of Christianity, (W.house).
- Al-Qurtubi, (W.year), Declaration of the Corruption and Illusions in Christian Doctrine, Demonstrating the Merits of Islam and Affirming the Prophethood of Muhammad, (W.country), Dar al-Turath al-‘Arabi.
- Al-Rahib, Al-Nash'u Abu Shakir ibn Butrus, The Proof of the Complementary Laws and Neglected Obligations, Vatican Manuscript, No. 116 Arabe.
- Al-Rāzi Fakhr al Din, (1406 AH) The Forty on the Fundamentals of Religion, Egypt, Solidarity Press,
- Al-Sherhi, Abdullah Ibn Ali, (1438 AH/2017 AD), The Greek Orthodox Presentation And Study in the Light of the Islamic Faith, Riyadh, Center For Western Thought.
- Al-Sidmuni, Butrus, (1643 AM), Epistle on the Refinement of the Soul, Sion Journal, No. 3, pp. 65–71.
- Al-Sidmuni, Butrus, (1979), A Treatise Dispelling Doubt and Heresy from the Unitarian Christians, Journal of the Priest's Friend, Nos. 1 & 2, pp. 44–58.
- Al-Sidmuni, Butrus, (W.year), The Correct Saying about the Passion of Christ, (W.country).
- Al-Sidmuni, Butrus, Article in self- discipline 'in operations', Vatican manuscript, No. 126 Arabe.
- Al-Sidmuni, Butrus, Article in the belief, Vatican manuscript, No. 4786 Arabe.
- Al-Sidmuni, Butrus, Spiritual Teachings and Philosophical Expressions, Vatican Manuscript, No. 126 Arabe.
- Al-Sidmuni, Butrus, The Beginning of Salvation by Intercession.
- Al-Tufi, Najm Al-Din, (W.year), Islamic victories, (W.country), Window Library.
- Al-Tuwaijri, Abdul-Ilah bin Abdul-Aziz bin Saleh, Investigation of the book: in which the answer to the message of the people of the island of Cyprus, in response to the Christians by Shams al-Din Muhammad Ibn Abi Bakr al-damashki, Department of doctrine, Faculty of Da'wa and fundamentals of religion, Islamic University of Medina, Saudi Arabia. (1435/1436 AH).

- Al-Zayat, Habib, (1935), The Cross in Islam, Lebanon, Saint Paul Press.
- Ammār al-Basrī, (1977), The Book of Evidence and the Book of Questions and Answers, Lebanon, Dar Al-Mashreq
- Atef, Emad/Fouad, Mina, (2015), Abu Raita Al. Takriti, A Case Study For The Renewal Of The Coptic Orthodox Doctrine Of The Oneness Of God, The Alexandria School Journal, v 2, p 64-79.
- Azar, Girgis Samuel, (W.year), The Harmony of Orthodox Doctrines, Egypt, St. George Library.
- Barsoum Ignatius Aphram I, (1943), The Scattered Pearls A History of Syriac Literature and Scienses, Syria, Al-Salama Press.
- Bishop of Akhmim, yusab, theological articles, Parisian manuscript, No. 4711 Arabe.
- Cheikho, Louis, (1920), Old religious articles by some famous Christian writers from the 9th to the 13th century, Lebanon,
- Cheikho, Louis, (2000)), Arabic manuscripts of the Christian scribes, Lebanon, Dar Al-Mashreq.
- Daccache, salim, (1996), Abu Raita Al. Takriti and his message of the Holy Trinity, Lebanon, Dar Al-Mashreq.
- Dawoud Abdullah, Morcos, (2012), The Issue of Selection, Does God Really Choose People and Reject Others? Egypt, Church of the Great Saint George – Sporting.
- Dike, Ignatius, (1982), Mimmer in the presence of the Creator and the true religion, Lebanon, Paulist Press.
- Dike, Ignatius, Abu Qurrah Tawdros, (2007), debate with Muslim theologians in the court of Caliph Al. Ma'mun, Syria, (W.house).
- Dimitri, Maurice Kamel, (1955), The purity of the doctrines of the Coptic Orthodox Church, Egypt, Modern Commercial Press.
- Gad Allah, Adil Salim Atiya, (2000), Free Will and the Problem of Evil in the Thought of John of Damascus and Theodore Abu Qurra Compared to the Mu'tazilites, Scientific Journal of the Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wa in Zagazig, No. 32, pp. 153–227.
- Gad Allah, Adil Salim Atiya, (2018), Free Will and the Existence of Moral Evil in the World Between Christian Theology and Later Mu'tazilite Thought: John of Damascus and Qadi Abd al. Jabbar as a Models, Journal of Arab Studies, No. 38, pp. 401–452.
- Girgis, Shafiq Bishoy, (2016), Historical Figures: Al. Isra'ili, Abd al. Masih, Who is He? His History. His Writings., Egypt, Coptic Orthodox Theological Seminary College, Anba Royce Monastery.

- Graf, George, (1944), The History of Christian Arabic Literature, The Vatican Apostolic Library, Italy.
- Graf, George, The History of Christian Arabic Literature: The Copts, unpublished.
- Hassan Basaj, Ahmed, (2005), Diwan Al. Busiri, Lebanon, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Hassan, Hisham Muhammad, (2021), Islam in Byzantine Imagination in the 8th Century: John of Damascus as a Model, Journal of Medieval and Islamic History, Vol. 14, No. 1, pp. 15–86
- Holy Bible (Van Dyck).
- Holy Bible, Copyright 1998-2002, Arabic Bible Outreach Ministry All Rights.
- Ibn ‘Adi, Yahya, (1980), Treatise on Monotheism, Lebanon, Paulist Library.
- Ibn al-‘Assal, al-Mu’taman, (1999), The Compilation of the Principles of Religion and the Audible Harvest of Certainty, Palestine/Egypt, Franciscan Center for Oriental Christian Studies/Franciscan Fathers Press.
- Ibn al-‘Assal, al-Safi, (1643 AM), The Pathway to Disgrace the Corruptors of the Gospel, Egypt, Ain Shams Press.
- Ibn al-Muqaffa’, Sawirus, (1978), The Lamp of the Intellect, Egypt, Dar al-‘Alam al-‘Arabi Press.
- Ibn Ishaq, Hunayn, (1991), Treatise on Life Spans, Al-Mashriq Journal, No. 2, pp. 403–425.
- Ibn Katib Qaysar, (1994), Exegesis of the Book of Revelation, (W.country), Al-Mahabba Library.
- Ibn Katib Qaysar, (W.year), Exegesis of the Epistle of Paul to the Romans, Egypt, Coptic Press.
- Ibn Qanbar, Markos, (1895), The Precious Pearl in the Exegesis of Genesis, Egypt, Al-Khedivial Press.
- Ibn Taymiyya, Ahmed Ibn Abdul Halim, (1999), Al. Jawāb al. Sahih li. Man baddal din al. Masih, Kingdom of Saudi Arabia, Dar Al-Asimah.
- Idlabi, Nawfiṭus, (1993), Arabic Christian Writers and Theology, Al-Masarra Journal, No. 805, pp. 935–948.
- Khalil Samir, Samir, (1990-1991), An Arab Apology for Christianity from the Umayyad period, word of the orient, v 16, p 85-106.
- Khalil Sj, Samir, (2000), Abu Qurrah ‘works’, Lebanon, Dar Al-Mashreq.
- Mahmoud Metwalli, Tamer Muhammad, (2020), Predestination and Fate in Light of the Holy Scriptures: A Comparative Study, Journal of Philosophical Approaches, Vol. 7, No. 1, pp. 31–54.

- Muhammad Dawud, Naji, Investigation of the Book: Al. Ajwibah al. Fākhirah an al. As'ilah al. Fājirah by Idris Al-Qarāfi, Department of Postgraduate Sharia Studies, College of Islamic Sharia and Islamic Studies, Umm Al-Qura University, Kingdom of Saudi Arabia. (1984-1985).
- Nasrallah, Joseph, (1991), Mansur Ibn Sarjun (Known as St. John of Damascus), Lebanon, Paulist Library.
- Parisian Manuscript, No. 213.
- Parisian Manuscript, No. 215.
- Parisian Manuscript, No. 5049.
- Qadah, Mahmoud Abdul Rahman, Investigation of the book: Takhjil man harrafa al. Tawrah wa. Injil by Taqi al-Din al-Jaafari, Islamic University in Medina, Kingdom of Saudi Arabia, (1419 AH/1998 AD).
- Rustom, Asad, (2017), Church of the Great City of God Antioch, United Kingdom, Hindawi Foundation.
- Sahas, Daniel, (1995), The Arab Persona in Christian Polemics Against Islam, Al-Ijtihad Journal, No. 28, pp. 109–136.
- Sako, Luis, (2009), Timothy the Great, Lebanon, Dar Al-Mashreq.
- Salaima, Rana Mazen, (2013), Freedom of will and choice between Judaism and Islam: a comparative doctrinal study, Jordan, Dar Al-Hamed.
- Salama Hamoud ibn Ibrahim, Coptic Christians: A Doctrinal Study, (1438 AH/2017 AD), Riyadh, Center For Western Thought.
- Sharqāwi, Bāsim Samir, (2017), Introduction to the Science of Arab. Christian Heritage, Egypt, Franciscan Center.
- The Damascus John, (1984), the Hundred Articles on the Orthodox Faith, Lebanon, Paulist Library.
- The Damascus John, (1997), the hundred heresy, (W.house).
- The Defence of the Christian Faith in the Abbasid Era, (W.year), Austria, Light of life.
- The Discourses of Tawdros, Abu Qurra, Bishop of Harran: The Oldest Arabic Christian Text, (1904), Beirut, Maktabat al-Fawa'id.
- The Divider Between Truth and Falsehood, (1317 AH), Egypt, (W.house).
- Vatican Manuscript, No. 97 Vat.ar.
- Vial, Jean Maurice, (1990), The Conditions of Christians Under the Abbasid Caliphate, Lebanon, Dar al-Mashriq.